
قافلة الزيت
ربيع الأول ١٤٠١هـ/ يناير - فبراير ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم



٣٨



١٨





١٢


# قافلة الزيت

العدد الثالث المجلد التاسع والعشرون

ربيع الأول ١٤٠١هـ/ يناير - فبراير ١٩٨١م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني ابوكشك

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.




صورة الغلاف: بناء صلب ودلالات تاريخية في هذا البرج وسواه تشكل أبرز معالم آثار منطقة الباحة. تصوير: شيخ أمين


تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام

# أثر القرآن في نشوء البلاغة العربية

بقلم : د . محمد أحمد العزب

لا بد أن نفرق في رصد ملامح الحركة العلمية التي امدها القرآن الكريم بقوانين نشوئها وتطورها جميعاً ، بين تيارين متعاصرين : تيار الدراسات البلاغية ، وتيار الدراسات القرآنية التي استقطبت قضية الاعجاز .

وقد يلوح التفريق الحاسم بين هذين التيارين الصديقين عسير وغير منطقي ، لأن كلا منهما أفاد من الآخر وأفاض عليه ، بحيث بدا التيار البلاغي كأنه ممحض لبيان اعجاز القرآن الكريم ، كما بدا تيار دراسة الاعجاز كأنه ممحض لرصد الظواهر البلاغية .

ولكن نوعية الحركة والاهتمام في كل من التيارين هي التي يمكن أن تشكل الفرق الحاسم بين ما هو بلاغة مستقلة وما هو اعجاز مستقل ، حتى ولو كانت كل شواهد البلاغة مستمدة من القرآن ، أو كانت كل دلائل الاعجاز متكئة على قوانين البلاغة . . فلقد كان أحد التيارين يتأمل القضية البلاغية ليصل منها الى حقائق الاعجاز ، وكان التيار الآخر يتأمل قضية الاعجاز ليصل منها الى حقائق البلاغة ، وكان هذا بعينه هو الفرق بين كل من التيارين .

فالذي يدرس البلاغة ليصل الى حقائق الاعجاز هو مؤلف في الاعجاز بلا جدل ، والذي يدرس الاعجاز ليصل الى حقائق البلاغة هو مؤلف بلاغي بلا ريب . . وعلى ضوء هذا الفرق يمكن أن نتأمل تاريخ التيارين : البلاغي والاعجازي ، نشوءاً وتطوراً واكتمالا .

وقد بدت البلاغة العربية في القرنين : الأول والثاني . . مجرد لفتات بادهة سريعة ، لا توصل قاعدة ، ولا تشكل منهجاً . . ولكن مطالع القرن الثالث بشرت بعقلين بلاغيين تركا وراءهما ركائز لمنهج بلاغي أخذ فيما بعد يتحور ويتطور ويستحيل الى تيار مندفع يضيف اليه كل جيل من ذكائه الخاص وملاحظاته العلمية ما انتهى به الى تأصيل علم مستقل بأصوله ومصطلحاته ، وهو ما نعرفه اليوم بعلم البلاغة . . وكان النسق القرآني المعجز من وراء هذا التأصيل بما أمده به من فنون القول ، وطرائق التعبير ، وألوان العلاقات .

هذان العقلان البلاغيان هما : أبو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب الجاحظ ( ٢٥٥ ) أحد شيوخ المعتزلة وأئمتهم ، وأحد عمالقة أدباء العربية بلا منازع . . ثم أمير المؤمنين أبو العباس المرتضى بالله عبدالله بن المعتز بن المتوكل ( ٢٩٦ ) ، الشاعر المقتدر ، والأديب اللامع ، والعالم الضليع .

وقد أودع الجاحظ بذور اتجاهه البلاغي في كتابه : « البيان والتبيين » حيث تحدث فيه عن الفصاحة ، والبلاغة ، وما حسن من البيان ، وما راق من السجع . . وتفطن الى تحديد بعض المصطلحات البلاغية كالحقيقة ، والمجاز . . واهتدى الى أصول نظرية النظم حيث قرر أن الكلمة الواحدة تحسن أو تشوه من خلال سياقين مختلفين مع ثبات الوحدة اللفظية والمعنوية للكلمة من حيث هي كائن لغوي . . كما تحدث الجاحظ عن ألوان من المصطلحات البلاغية كالبديع ، والاستعارة ، والكناية ، والتشبيه ، والتقسيم ، والاستطراد ، والايجاز ، والقلب ، وغير ذلك من هذه المصطلحات ، ولكنه عرض لكل ذلك من خلال رؤيته كفنان متذوق وليس كبلاغي محايد .

يقول الجاحظ : « اذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً من التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة » . (١) .

ويقول في صفة البيان : « . . . وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ودقة المدخل ، يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع . والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان بذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ، وأحسن الكلام ما كان قليله

يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة » . ( ٢ )

أمّا عبدالله بن المعتز ، فقد ألف أول كتاب في « البديع » ، وقد استقصى فيه كل ما وقع له من ذلك . كالاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة . ورد اعجاز الكلام على ما تقدمها ، وما سماه الجاحظ المذهب الكلامي . . وتطرق الى ذكر بعض محاسن الكلام والشعر فتحدث عن الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم . وتجاهل العارف ، والهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والافراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، ولزوم ما لا يلزم ، وحسن الابتداء .

وفي القرن الرابع الهجري ظهر ثلاثة رجال كان لهم فضل بارز في تطوير هذه الدراسات ودفعها الى غاياتها البعيدة ، هم : قدامة بن جعفر ، والقاضي الجرجاني ، وأبو هلال العسكري .

أما أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامه ( ٣٣٧ ) ، صاحب : « نقد النثر » و « نقد الشعر » و « جواهر الألفاظ ) . . فيذكر في مقدمة كتابه : « نقد النثر » أن عمله يمثل استدراكاً علمياً على كتاب سلفه الجاحظ في « البيان والتبيين » حيث أن الجاحظ لم يأت في كتابه هذا على أقسام البيان ولا على وصفه . . . ثم بدأ في تصنيف كتابه على نحو علمي ، مفرقاً فيه بين العقل الموهوب والعقل المكسوب ، ويقسم البيان الى أقسام أربعة ، « فمنه بيان الأشياء بذواتها وان لم تبن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند أعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذي هو نطق باللسان ، ومنه البيان الذي يبلغ من بعد أو غاب » ( ٤ ) . ثم يستطرد الى تحديد مفردات هذه الأقسام فيحلل ويحدد معاني القياس ، والخبر ، والاشتقاق ، والتشبيه ، واللحن ، والرمز ، والوحي ، والاستعارة ، والأمثال ، واللغز ، والحذف ، والصرف ، والمبالغة ، والقطع والعطف ، والتقديم والتأخير والاختراع . . . ولما كان تأليف العبارة في كلام العرب – كما يقول – أما أن يكون منظوماً وأما أن يكون منثوراً ، فقد تناول كلا من القسمين « الشعر والنثر » بالدراسة والتأمل من الوجهة البلاغية : « وفي الشعر والنثر جميعاً تقع البلاغة والعى والايجاز والاسهاب ، الا أن البلاغة والايجاز اذا وقعا في الشعر والقول قضى للشاعر بالفلج ، والعي والاسهاب اذا وقعا في الشعر والقول كان الشاعر أعذر ، وكان العذر عند المتكلم أضيق ، وذلك لأن الشعر محصور بالوزن ، محصور بالقافية ، فالكلام يضيق على صاحبه ، والنثر مطلق غير محصور ، فهو يتسع لقائله » . ( ٥ )

وأمّا أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني ( ٣٣٦ ) صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » فقد ملأ كتابه هذا بأوجه المفارقة والتمييز بين أنواع الكلام ، وبشواهد الاستعارة ، والتشبيه ، والتجنيس ، والمطابقة ، والتقسيم ، والتصحيف .

والواقع أن كتاب « الوساطة » هو الى النقد الأدبي أقرب منه الى التقعيد البلاغي . وأن ما ورد فيه من المصطلح البلاغي لا يعدو أن يكون لازماً من لوازم الدراسة النقدية التي تستعين في حركتها بكل العلوم المساعدة ، والبلاغة في طليعة هذه العلوم . ولكن هذا لا يمنع أن الذي قال بحق من الوجهة النقدية : « الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والأعرابي والمولد » ( ٦ ) . هو نفسه الذي قال – بحق أيضاً – من الوجهة البلاغية : « . . . وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس :

**والحب ظهر أنت راكبــه**

**فاذا صرفت عنــانه انصرفا**

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وانما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت اذا ملكت عنانه ، فهو أما ضرب مثل ، أو تشبيه شيء بشيء ، وانما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلته في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له من المستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما اعراض عن الآخر » . ( ٧ ) .

وأما أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ( ٣٩٥ ) ، صاحب كتاب « الصناعتين » . . فقد صدر كتابه ببيان معنى البلاغة ، واختلاف الناس في التعبير عنها ، ثم عقد أبواباً لتمييز الكلام جيده من رديئه ولمعرفة صناعته ، ولحسن سبكه ، وللايجاز والاطناب ، وللتشبيه ، والسجع ، والازدواج ، ولأنواع البديع التي

استقصى منها خمسة وثلاثين نوعاً ذاكراً أنه زاد فيها على ما اورده سابقوه ستة أنواع ، وقد عد أبو هلال من البديع والاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والتذليل ، والاعتراض ، وهي ليست عند المتأخرين من البديع . ثم ذكر باباً أبان فيه عما يحسن من المبادىء والمقاطع وما لا يحسن .

ولعل منهج أبي هـــلال يظهر بشكل واضح في مقدمة كتابه حيث نوه بمعرفة علم البلاغة ، وأكد على ضرورته لفهم اعجاز القرآن الكريم ، وللتمييز بين جيد الكلام ورديئه ، ولوقوف الكاتب والشاعر على ما ينبغي استخدامه من أساليب اللغة وألفاظها الجيدة البليغة ، ويجنح الى تجسيد غايته المنهجية من تأليفه لكتابه معرضاً في ذلك لكتاب الجاحظ « البيان والتبيين » فيقول : « ان الابانة عن حدود البلاغة واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير » ، ويعلن ان تأليفه لكتابه « الصناعتين » ، كان من ورائه قصد تدارك النقص في كتاب الجاحظ ، وقصد الكشف عن الحدود والاقسام لوجوه البيان ، وأنه لم يؤلف كتابه على طريقة المتكلمين ، وانما ألفه على طريقة صناع الكلام من الكتاب والشعراء .

هذا هو منهج أبي هلال في تناوله للقضية البلاغية ، وقد اتكل في عمله — كما فعل أسلافه — على القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي ، يستمد منها ركائزه وتطبيقاته .

وفي أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري ظهر رجال كان لهم أثرهم الكبير في تشييد صرح البلاغة العربية على ضوء من الاستهداء بحقائق الاعجاز في القرآن الكريم . . وكان من هؤلاء : الشريف الرضي ، وابن رشيق ، وابن سنان الخفاجي ، وعبد القاهر الجرجاني.

أما الشريف الرضي ( ٤٠٦ ) فقد ألف كتابه : « المجازات النبوية » حيث بحث فيه جملة من كلام النبي،صلى الله عليه وسلم ، وأطلق المجاز في هذا الكتاب— كما أطلق الاستعارة — على أوسع ما تعرفه العربية لهذين اللفظين من المعنى ، فالكتابة ، والتشبيه ، والمجاز المرسل ، والمجاز اللغوي ، والاستعارة . كل أولئك مجاز عنده ، وان شاء فاستعارة ، وقد كان هذا مألوفاً غير مستنكر الى هذا الوقت .

وأمـــا أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ( ٤٥٦ ) فقد وقف في كتابه : « العمدة في محاسن الشعر وآدابه » على أحسن ما قيل في معاني الشعر ومحاسنه وآدابه ، ثم ذكر باباً للبلاغة ، وباباً للايجاز ، وباباً للبيان ، وباباً للنظم ، وباباً للبديع ، وباباً للمجاز ، وباباً للتمثيل ، وباباً للتشبيه ، وباباً للاشارة وأنواعها من التعريض والكناية والرمز والمحاجاة وغيرها ، وباباً للتتبيع ، وباباً للتجنيس ، وباباً للتصدير ، وباباً للمطابقة ، وباباً للمقابلة ، وباباً للموازنة ، وباباً للتقسيم ، وغير ذلك من أنواع البديع .

وأمّا أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ( ٤٦٦ ) فقد تصور في كتابه ( سر الفصاحة ) ان عناصر العمل الأدبي هي : الموضوع وهو الكلام المؤلف من الأصوات ، والصانع وهو المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض ، والصورة وهي كالفصل للكاتب أو البيت للشاعر وما جرى مجراها ، والآلة وهي طبع الناظم والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، والغرض وهو بحسب الكلام المؤلف فان كان مدحاً كان الغرض به قولا ينبيء عن عظيم حال الممدوح وان كان هجواً فالضد . ( ٨ )

ويرى ابن سنان أن القرآن معجز من وجهين : أحدهما أنه خرق العادة بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج به عن مقدور البشر ، والثاني صرف العرب عن المعارضة .

وأما أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ( ٤٧٤ ) صاحب كتابي : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، فقد فرق في كتابيه بين أنواع المجاز ، وجعل بعضه مرسلا وبعضه استعارة ، ووضع الحدود الحاسمة بين كثير من الأنواع المتشابهة ، وهو أول من كتب فيما اصطلح بعد على تسميته بعلم المعاني ، فهو بحق أول مؤصل جمع ما تشذر وأخضعه لقاعدة عامة ، وأضاف الى مباحث السابقين مباحث جديدة .

وكانت الفكرة التي بنى عليهـــا عبد القاهر كتابه : « دلائل الاعجاز » تدور حول بلاغة الكلام ، وأنها تكون في النظم ، وأن النظم هو تعلق معاني الكلم بعضها ببعض ، وليس ذلك سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل بقوانينه وأصوله ، وأن نظم الكلام تابع لمعناه » . ( ٩ )

أما كتاب : « أسرار البلاغـــة » فله هدف آخر غير كتاب « الدلائل » . ذلك أن مسائل المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية مسائل لها دخل كبير في بلاغة القول ، حتى أفردها بعض الباحثين بالدراسة المستقلة ، فكان من ذلك أن ألف عبد القاهر كتابه : « أسرار البلاغة » . ليعالج هذه الأبواب معالجة خاصة ، تبين سحرها ،

وألوان فنونها . ولعله رأى أنه لا مزيد عنده من القول في باب الكناية فاكتفى بما ذكره من الحديث عنها في دلائل الاعجاز . ( ١٠ )

وفي القرن السادس ظهر الامام الجليل جار الله محمود بن عمر الزمخشري ( ٥٣٨ ) صاحب التفسير المعروف بتفسير « الكشاف » وصاحب كتاب : « أساس البلاغة » . واذا كان الذي يعنينا هنا الآن هو كتابه : « أساس البلاغة » فانه قد عمد فيه — لأول مرة — الى مواد اللغة مادة فمادة ، فبين في كل مادة منهـــا الاستعمالات الحقيقية والاستعمالات المجازية . .

ويلاحظ كثير مـــن الباحثين أن العربية قـــد أفادت — من الوجهة البلاغية — من تمثيل الفكرة العلمية في كتاب الزمخشري : « الكشاف » كما أفادت في كتاب « أساس البلاغة » تطبيقات وافية على هذه الاساسيات .

وفي القرن السابع ظهر أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ( ٦٢٦ ) . وقد بدأ دارساً للفلسفة ، فنضحت ثقافته الفلسفيه على تقسيماته الصارمة ، وحدوده الحاسمة ، مما أدخل كثيراً من المسائل البلاغية تحت أسمائها الحقيقية ، فقرر لها أصولها وقواعدها وقضاياها المقررة الثابتة . وقد اتهم السكاكي بأنه عقد البلاغة العربية باخضاعها لمنطق الفلسفة ، وبما أترعها به من الجدل والفروض .

ثم جاء ضياء الدين أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ، المعروف بأبن الأثير ( ٦٣٧ ) وهو صاحب « المثل السائر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » ، وهو في هذا الكتاب الأخير — كما يقرر في مفتتحه — يعكف على آراء أسلافه من العلماء في تأليف الكلام ، من أمثال : الرماني ، والآمدى ، والجاحظ ، وقدامة ، وأبي هلال ، والغانمي ، وابن سنان ، وغيرهم . ثم يقارن ويحلل ويخرج بتقسيمات خاصة به . فهو يدير الكلام على ما يجب على المؤلف أن يبتدىء به ، وعلى الألفاظ والمعاني ، وعلى المنثور والمنظوم ، وعلى الفصاحة والبلاغة . وعلى أصناف البيان وانقساماتها ويجعل ذلك على بابين : الأول في الصناعة المعنوية ، وتنقسم عنده الى تسعة وعشرين نوعاً .

وفي القرن الثامن ظهر الامام أبو المعالي جلال الدين قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن ابراهيم القزويني الشافعي ( ٧٣٩ ) .

وقد أراد أن يجمع طريقتي الامامين : عبد القاهر والسكاكي ، ملتفتاً الى استدراكات ابن الأثير على من سبقه من العلماء . . وبدأ بتلخيص القسم الثالث من : « مفتاح العلوم » الذي صنفه السكاكي ، والذي يراه « أعظم ما صنف في علم البلاغة من الكتب المشهورة نفعاً ، لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً » ( ١١ ) . . ولكنه أراد أن يخطو بعد السكاكي خطوة ، فجعل كتابه مشتملا على ما يحتاج اليه من الأمثلة والشواهد ، ولم يأل جهداً في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبـــه ترتيبـــاً أقرب تنـــاولا . . وأضـــاف الى ذلك فوائد عثر في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم يظفر في كلام أحد بالتصريح بها ، ولا الاشارة اليها . . .

ولمـــا لم يشف « التلخيص » صاحبه ، شرع في كتابه : « الايضـــاح » ليوسع مـــن رقعـــة كتابه « التلخيص » . وليوضح مواضعه المشكلة . ويفصل معانيه المجملة ، وليستدرك به ما خلا منه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم ، وما خلا منه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ثم ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، مع ما قدمه من اجتهادات ذاتية أقرت كل شيء في محله . ( ١٢ )

هذه جهود فريق من العلماء الذين تخصصوا في تقعيد الدراسات البلاغية وتطوير مفاهيمها وقضاياها ، والاضافة المستمرة الى مقولاتها ، والعمل الدائب على تحديد أقسامها وأنواعها ومصطلحاتها .

والذي يعنينا تأكيده هنا ، هو أن هذا الفريق من العلماء كان معنياً بالدراسة البلاغية من حيث هي ، أي أن أهتمامه الأول كان موجهاً الى الدرس البلاغي ، وان كان ذلك قد حدث من خلال اكبابهم الطويل على القرآن الكريم من حيث هو نص معجز يمثل قمة منقطعة في البلاغة والبيان □

د. محمد احمد العزب

---

١ و ٢ — « البيان والتبيين » — ج ١ — ص ٢٣
٢ — انظر كتاب «البديع» — المقدمة
٣ — و ٤ — «نقد النثر» — ص ١٠ و ٨٣
٥ — «البلاغة تطور وتاريخ» — للدكتور شوقي ضيف — ص/٩٢.
٦ — و ٧ — «الوساطة» ص ١٢ و ٣٢
٨ — «سر الفصاحة» — ط ١ — ص ٨٥ — ٨٦
٩ — الدكتور أحمد أحمد بدوي — عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية — ص/٢٩٧
١٠ — الدكتور احمد أحمد بدوي — عبد القاهر الجرجاني و جهوده في البلاغة العربية ص ٢٩٩-٣٠٠
١١ — من خطبة الخطيب في مفتتح « تلخيص المفتاح » .
١٢ — انظر خطبة كتابه : « الايضاح » .

# المولد النبوي الشريف

مولدك يا رسول الله كان فاتحة عهد جديد على الدنيا وحضارتها وقيمها الاخلاقية والدينية وسعياً للتقريب بين الانسان وأخيه الانسان .

مولدك يا رسول الله طلع على العالم يضيء ما حوله من ظلمات ، يحطم الاستبداد ليبني فوق انقاضه العدل والسماحة والايمان .

وأكبر دليل على ذلك الحديث النبوي الشريف : « **انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .
مولدك يا رسول الله جاء في فترة كان الظلم فيها يعبث بالعدالة ، والحق للقوة الغاشمة والفسق ميزة كل قوي مستبد ، فكنت يا رسول الله سيفاً قاطعاً يحطم الظلم ليشيد العدالة . ويرفع الحق القويم وينادي بالعفة والطهارة ، ويقضي على كل متوحش لا يخضع لقانون ، وهمجي لا يتقيد بنظام ، فكان لا بد أن يظهر في البشرية من يسعى لهداية الناس ويوجه أفكارهم ومشاعرهم الى رب العالمين . فأرسلك سبحانه وتعالى هادياً ومعلماً ونبياً ليرد البشرية الى الصراط المستقيم . فقد عرفت بالصدق والحكمة منذ الطفولة ، فكان مولدك دفقة خير واصلاح ، وتعاليم دينك مورد يقظة وعدالة ، تستمد روحها من الله عز وجل .

ألم يقل الله في كتابه الكريم : « **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** » .
« **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم** »
« **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون** » .

صدق الله العظيم .

فمنذ أربعة عشر قرناً والقرآن الشريف حجة على العلماء ، منه يستقون منــاهل العلم والمعرفة ، ومنه يستمدون الروح السماوية التي أوحت بالخير والعطاء ، والتشريعات التي لو سارت عليها البشرية لبطلت الحروب وزالت الضغائن من النفوس .
ألم يقل الله في كتابه العزيز :

« **وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون** » .

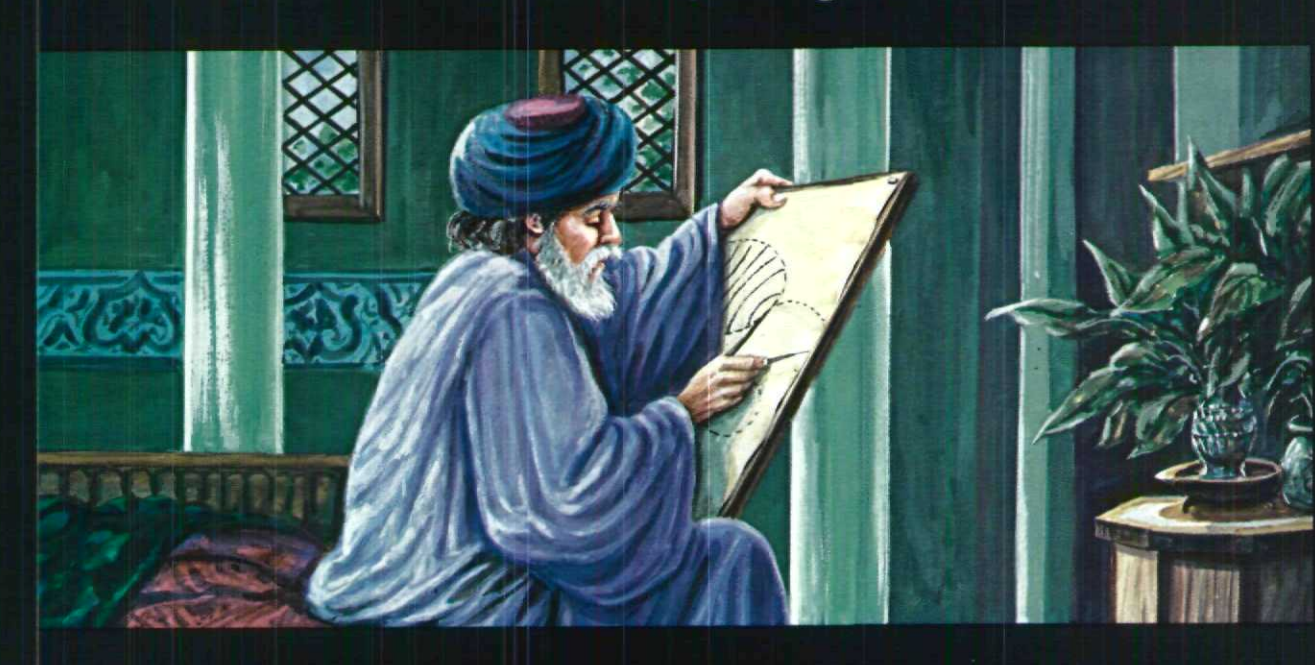
اننا نرفع أيدينا وعيوننا ضارعين الى الله قانتين نسأله الهداية الى الصراط المستقيم ☐

**يوسف قنصل / الأرجنتين**



# إسهام علماء المسلمين في حقل الفيزياء

بقلم : د. علي عبد الله الدفاع



لم يسلك اليونانيون في اكتشافاتهم طريقة البحث العلمي المرتكزة على التجربة في صياغة القوانين أو البحث في صحتها . فلم يكن لدى المفكرين اليونانيين المهارة العلمية والأجهزة الضرورية ولا حتى الميل اللازم للتعرف على الطبيعة عن طريق التجربة العلمية ، بل كانوا ينطلقون من أفكار كلية مسبقة يبنون عليها استنتاجاتهم منطقياً وبالتفكير المجرد . كما لم يكونوا مهتمين بدراسة الجزئيات ، بل كان همهم تكوين فكرة شاملة عامة عن الكون ونظامه ، كما كانوا يحترمون العمل الفكري ، ويحتقرون العمل اليدوي ، فتركوه لعبيدهم ، معتقدين أنه يفسد الفكر والروح . وقد بلغت هذه الفلسفة ذروتها في عهد أفلاطون الذي اشتهر عنه قوله : « في حياتنا نكون أقرب الى المعرفة متى اجتنبنا ملامسة الجسم جهد المستطاع ، وطهرنا أنفسنا منه ، الى أن يحررنا الاله » . وفي رأي أفلاطون أنه لا داعي لدراسة حركات الأجزاء السماوية الا لتزودنا بمعلومات تقريبية عن الحركات المثالية للسرعة المطلقة والبطء المطلق ، وهذه الحركات المطلقة لا تدرك بالملاحظة ، بل بالعقل حسب اعتقاده . فلا يستغرب اذن أن تكون فيزياء اليونان مجموعة أفكار مجردة وتأملات ، حيث استند علماؤهم فيها الى الفلسفة المجردة في محاولاتهم لفهم الطبيعة دون أن يكون للتجربة دور يذكر في تلك المحاولات . وأخذ العرب المسلمون هذا الأساس الضعيف من اليونان وطوروه وجعلوا علم الطبيعة علماً يستند الى التجربة والاستقراء عوضاً عن الاعتماد على الفلسفة .

أما عبد الرحمن بن خلدون فقد عرف علم الطبيعة في مقدمة كتابه في علم التاريخ « بأنه علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون . فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن . وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل ، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك » . وقد طور علماء العرب والمسلمين بعض موضوعات علم الفيزياء التي تناولها علماء اليونان مستخدمين طرقاً تجريبية تختلف عن المنهج النظري المجرد الذي اتبعه علماء اليونان ومن هذه الموضوعات مثلا القوانين المائية ، والجاذبية ، والمرايا المحرقة ، والثقل النوعي ، وانكسار الضوء ، وانعكاسه ، وعلم الروافع . ويقول ى . وايدمان — وهو المستشرق الذي اهتم بانتاج علماء المسلمين في العلوم — : « ان المسلمين أخذوا عن اليونان بعضاً من النظريات فأحسنوا فهمها ثم طبقوها على حالات كثيرة متباينة واستنبطوا من ذلك نظريات جديدة ، وبحوثاً مبتكرة فأسدوا الى العلم خدمات لا تقل عن تلك التي تمخضت من مجهودات نيوتن وفرادای ورنتجن » .

لقد خلف علماء اليونان تراثاً واسعاً في علم الميكانيكا . فاليهم ينسب « كتاب الميكانيكا » لأرسطو طاليس وفيه تبيان كيفية ايجاد المحصلة لقوتين متعامدتين ، أحداهما على الأخرى . ويعزى الفضل الى عالم يوناني آخر هو أرخميدس في استحداث الأفكار الميكانيكية الآتية :

– فكرة مركز الثقل وله في ذلك مؤلفات .
– فكرة الرافعة التي تقول : « ان القوة تتناسب عكسياً مع أطوال أذرعتها » .
– فكرة الثقل النوعي .

ولقد اهتم علماء المسلمين بمؤلفات أرخميدس وهيرون الاسكندري اهتماماً بالغاً ، فطوروا نظرياتهما وأفكارهما العلمية المتعلقة بموضوع علم الميكانيكا . وحينما قام المهندس الانجليزي المعروف رونالد هيل بدراسة كتاب بديع الزمان الجزري – العالم المسلم الجليل الذي عاش في القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) – أثبت فيها أن الجزري كان يعلم بالهندسة الميكانيكية واستعمال الآلات بقدر معرفة المهندسين الميكانيكيين في عصره . وبهذا تبطل ادعاءات بعض المؤرخين الذين يرمون علماء العرب والمسلمين بأنهم لا يتذوقون الأفكار الميكانيكية . ومما يذكر أن نظريات الحركة ينبغي البحث عنها في كتب الفلسفة ، لا كتب العلوم ، لأن علماء العرب والمسلمين اعتبروا فكرة الزمان والمكان والحركة كلها أفكار فلسفية . ومن هذا المنطلق نلاحظ أن كثيراً من الأفكار الميكانيكية التي عرفها العالم الانجليزي اسحق نيوتن – الذي عاش بين ١٦٤٢ و ١٧٢٧ م – والتي نسبت اليه ، هي أفكار كان مسلّماً بها في الفكر الاسلامي ولكنها كانت مبنية على منطلقات فلسفية .

فمثلاً جرت العادة على نسبة قوانين الحركة في الميكانيكا الى اسحق نيوتن ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، لأن علماء المسلمين أسبق منه في الاهتداء اليها اذ ان القانون الأول في الحركة والقائل : « ان الجسم في حالة سكون او في حالة حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجيه على تغيير هذه الحالة » ، قد اكتشفه العالم ابن سينا الذي يقول عنه في كتابه « الاشارات والتنبيهات » : « انك لتعلم ان الجسم اذا خلى وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين . فاذن طباعه مبدأ استيجاب ذلك » . ونرى هنا ان تعبير ابن سينا عن هذا الموضوع أوضح بكثير من تعبير نيوتن .

لقد توج علماء المسلمين علم الفيزياء بالاكتشافات الرائعة التي اهتدوا اليها في طبيعة الضوء ووظائفه ، وهالة القمر ، وقوس قزح ، والمرايا ذات القطع المكافيء ، والمرايا الكروية ، والكسوف والخسوف والظلال . فانتفع بعلمهم بالبصريات وانتاجهم الغزير كل من روجر بيكون وفيتلو البولندي ، وليوناردو دافنشي ويوهان كبلر وغيرهم من علماء الغرب . فعلى سبيل المثال ترجم « كتاب المناظر » لابن الهيثم أكثر من خمس مرات الى اللغة اللاتينية ، واتسعت رقعة استعماله في جميع أنحاء المعمورة . ويلمح الى ذلك المؤلف المعروف فلورين كاجوري في كتابه تاريخ الفيزياء بقوله : « بعد الفتوحات الاسلامية ، بدأت فترة الانتاج العلمي وخاصة في ميادين الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافية كما أولى المسلمون علم الطبيعيات اهتماماً بالغاً وخصوا علم البصريات بعناية مقدورة وذلك بدراسة خواص الضوء » . والى ذلك أضاف المؤلف سيد حسين نصر في كتابه العلوم والحضارة في الاسلام : « ان دراسة المادة والضوء والزمان والفضاء والسرعة وصلت الى أوربا من علماء المسلمين ، وليس من فلاسفة اليونان كما يدعي المغرضون » . أما مصطفى نظيف الذي اهتم بعلم البصريات فيقول في كتابه البصريات : « الذي جعلني أبدأ بعلم الضوء دون الفروع الطبيعية الأخرى أنه علم ازدهر في عصر التمدن الاسلامي وكان من أعظم مؤسسيه شأناً ورفعة وأثراً الحسن بن الهيثم الذي كانت مؤلفاته وأبحاثه المرجع المعتمد عند أهل أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادي » .

لقد درس ابن سينا مؤلفات أرسطو طاليس ، واهتم بعلم الصوت وبرهن على أن البصر أسرع من السمع ، لأن السمع يحتاج المرء فيه الى تموج الهواء . وجاء ابن يونس الصدفي المصري فاشتهر بكلا العلمين : الفيزياء والفلك . وقد لقي ابن يونس تشجيعاً من الوالي الفاطمي في ذلك الوقت ، فبنى له مرصداً على جبل المقطم بالقرب من القاهرة رصد فيه ، كما سبق أن أشرنا ، في عام ٣٦٧ هـ ( ٩٧٨ م كسوف الشمس وخسوف القمر في القطر المصري . واخترع أيضاً « الرقاص » الذي استخدمه لقياس الفترات الزمنية أثناء رصده للنجوم . ومن هذا يتضح جلياً أن ابن يونس سبق غاليليو الايطالي ( الذي عاش فيما بين ١٥٦٤ – ١٦٤٢ ) بعدة قرون في اختراع الرقاص . يقول ديفيد يوجين سمث في كتابه تاريخ الرياضيات ، المجلد الثاني منه : « يدعون أن قانون الرقاص هو من وضع غاليليو الا أن ابن يونس لاحظه وسبقه اليه . حيث أن الفلكيين العرب يستعملون الرقاص لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد » . وقال جورج سارتون في كتابه المدخل الى تاريخ العلم : « ان ابن يونس يعتبر بلا شك من عمالقة القرن الحادي عشر الميلادي ، وأعظم فلكي ظهر في مصر ، وهو

مكتشف الرقاص » . كما اهتم المسلمون بالابرة المغنطيسية ووضعوا لها بيتاً وسموها البوصلة واستعملوها في الملاحة . ويقول جورج سارتون في كتابه المدخل الى تاريخ العلم : « ان الابرة المغنطيسية التي تستعمل في البوصلة اكتشفها الصينيون واستخدموها في الخزعبلات أما المسلمون فاستفادوا منها في الملاحة » .

وأجرى العلامة البيروني تجارب كثيرة على الجاذبية الأرضية حتى أرسى قواعدها وفهم تأثير هذه الجاذبية فهماً علمياً صحيحاً . وقال عنها في كتابه القانون المسعودي : « الناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة . وعليها أيضاً نزول الأثقال الى أسفل » . وبعد البيروني . جاء أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني فعرف الجاذبية بقوله : « ان الاجسام الساقطة تنجذب نحو مركز الأرض . وان اختلاف قوة الجذب يرجع الى المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز » ويقول الخازني في كتابه ميزان الحكمة : « الجسم الثقيل . هو الذي يتحرك بقوة ذاتية الى المركز . أعني أن الثقل هو الذي له قوة الحركة الى نقطة المركز » . كما شارك ابن سينا والشريف الادريسي وغيرهما من علماء المسلمين في تطوير علم الجاذبية الأرضية . ويقول الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : « الأرض جاذبة لما في أبدانها من الثقل بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد » . من هذا يتضح لنا أن علماء العرب والمسلمين سبقوا اسحق نيوتن في اكتشاف نظرية الجاذبية الأرضية بعدة قرون . أما الحسن بن الهيثم فقد أجرى تجارب للاهتداء الى العلاقة بين زاويتي السقوط والانكسار فبرهن على أن النسبة بين زاويتي السقوط والانكسار غير ثابتة بل تتغير . فخالف بذلك نظريات بطليموس التي تقول أن النسبة بين زاويتي السقوط والانكسار ثابتة . وأضاف سيد نصر في كتابه مهرجان العالم الاسلامي : « أن كثيراً من علماء المسلمين في الطبيعيات كالبيروني وابن سيناء انتقدوا نظريات أرسطو طاليس في هذا المجال . وهكذا بدأ عصر النقد البناء » .

جرى علماء العرب والمسلمين على ملاحظة الظواهر الطبيعية والقيام بالتجارب والقياسات المختبرية مع الاحتياط في الاستنتاج ، كما شكوا في كثير من استنتاجات علماء اليونان وانكروا بعضها . ومن هنا يصح القول ان علماء العرب والمسلمين ابتكروا الطريقة الحديثة في التفكير والبحث لمعرفة قوانين الطبيعة وأنهم اتجهوا الوجهة التي سار عليها التفكير العلمي المعاصر . قال فلورين كاجوري في كتابه تاريخ الفيزياء : « ان علماء العرب والمسلمين هم أول من بدأ ودافع بكل جدارة عن المنهج التجريبي . فهذا المنهج يعتبر مفخرة من مفاخرهم . فهم أول من أدرك فائدته وأهميته الطبيعية . وعلى رأسهم ابن الهيثم » . وأضاف سيد حسين نصر في كتابه العلوم والحضارة في الاسلام » ان علماء المسلمين هم الذين وضعوا أساس البحث العلمي الحديث ورغبوا في التجربة والاختبار . فأنشأوا المعمل ليحققوا نظرياتهم . وليستوثقوا من صحتها » .

على أن لنا ملاحظة أخيرة هي أن علم الفيزياء لم ينل في بادىء الأمر من علماء العرب والمسلمين العناية الكافية مثل العلوم الأخرى . لأنهم اعتبروه جزءاً لا يتجزأ من علم الهندسة . ولكن الحسن بن الهيثم غير هذا الوضع واعطى علم الفيزياء اهتماماً نادراً حتى ترعرع تحت رعايته . ونال استقلاله التام من علم الهندسة . يقول حيدر بامات في كتابه اسهام علماء المسلمين في الحضارة : يجب اعتبار العرب مؤسسي علم الفيزياء وعلى رأسهم أبو علي الحسن بن الهيثم والبيروني . فهما المبتكران للكثير من نظريات هذا الحقل . وقد طبق علماء العرب في الطبيعة مبادىء علم الصوت على الموسيقى فتفوقوا على غيرهم من الأمم » . وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب : « هذه المعارف المبتكرة العظيمة الشأن وهذه التحقيقات العلمية الرائعة التي قدمتها العبقرية العربية هدية منها للانسانية عامة . ولأوربة خاصة . كالأرقام العربية وعلم الجبر العربي . وعلم الطبيعة . . من اعترف بمصدرها ؟ ومن أرجع فضلها الى صانعيها . بل كان الأمر على العكس تماماً . فان أغلب الاكتشافات العربية حملت معها وما تزال حتى يومنا هذا أسماء انكليزية أو فرنسية أو ألمانية » .

كانت العلوم الطبيعية عند اليونان والأمم السابقة لهم تعتمد على الفلسفة والطرق التجريدية والاستنباطات العقلية . وحين اهتم علماء العرب والمسلمين بهذا العلم درسوه دراسة دقيقة مبنية على التجربة والاستقراء . ومن ثم اختاروا الطريقة العلمية في البحث والتجربة . وهي الطريقة التي يطبقها علماء اليوم . وصدقت زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » في قولها : « ان الحضارة العربية المبتكرة . لم تأخذ عن الحضارة الاغريقية أو الحضارة الهندية الا بقدر ما أخذ ارسطو طاليس أو فيثاغورس من الحضارتين البابليـــة والمصرية . لقد طور العرب . بتجاربهم وأبحاثهم العلمية التطبيقية ما أخذوه من مادة خام عن الاغريق . وشكلوه تشكيلا جديداً . فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة » □

د . علي عبدالله الدفاع / جامعة البترول والمعادن / الظهران

# بمحمد هلّ الصباح

شعر: عبدالحفيظ محمد عبدالحميد

الكون أظلم والنهار يعيش في قلق حزين
والليل طال على الوجود فبات يزفر بالانين
والموبقات تهزّ وجه الأرض في وحل وطين
والناس باتوا في الفساد وفي الضلالة يعمهون
كفر وشرك يملأ الدنيا ببهتان مبين
صور تموت بها الفضيلة في نفوس الظالمين
وتعشّش الآثام راناً في قلوب الكافرين
فهي الحجارة قسوة تصفو لابليس اللعين
صور من الطغيان يندى من مهانتها الجبين
ضلوا طريق.الحق تاهوا في الضلال وفي المجون

* * *

والفجر أقبل يملأ الدنيا صفاء من ضياء
في كفه البسمات والخيرات ترسلها السماء
في كفه نور اليقين يسير ملتزم العطاء
بهر العيون ضياؤه فتوجهت نحو السماء
تستقبل الصبح الجديد وقد تبسّم للقاء
صبح يشع بنوره فيه السماحة والاخاء
صبح يطل على البسيطة والخليقة من حراء
صبح تبسم وابتسامته السعادة والرجاء

بمحمد هلّ الصباح يضيء وجه العالم
ويبدد الآلام بالأمل الحبيب المسلم
ويطهر الدنيا ليملأها بحب المنعم
ويحطم الأصنام آلهة العناد المجرم
يقضي على الأحقاد تسري بالسّموم الى الدم
هذا النبي اتى يبلّغ بالكتاب المحكم
والخير يغرسه هدىً في كلّ قلب مظلم
والنور يبعثه ضياء في الظلام القاتم
والحق يدفع عاصفاً بالباطل المتهدّم
هذا النبي أتى يخلّص من ضلال غاشم
ويضيء في الدنيا السبيل الى العزيز الراحم
بالنور بالايمان بالقرآن جاء ... ببلسم
فهو الشفاء من الضلال من العناد الظالم

* * *

وقف الضلال أمام دعوته يصدّ عن السبيل
ومضى تؤجج ناره الاحقاد والغلّ الغليل
عميت قلوب الكفر بالطغيان عن ظلّ ظليل
والنصر للايمان عهد الله جاء به الرسول
عهد وميثاق سيبقى في الحياة فلا يزول

# دفاع عن الفصحى

بقلم: د. كامل السوافيري

**منذ** نصف قرن من الزمان ألقى الأديب المعروف اسعاف النشاشيبي خطبة في دار جمعية الرابطة الشرقية في القاهرة عنوانها: «كلمة في اللغة العربية» قال فيها بالنص «ألا انه لم يشق أحد في هذا الوجود شقاء هذه اللغة العربية. ولم يضم كريم عند قومه ضيمها. ولم تُعب حسناء خلصتها الطبيعة من كل شين كما عيبت هذه اللغة العربية».

واللغة العربية التي عناها اسعاف لا تقف عند الأسلوب المشرق، والصياغة الرصينة، وأناقة الجمل والكلمات، وانما تشمل علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض.

وقد اتهمت اللغة العربية بأنها لغة صعبة واتهم النحو العربي بالجفاف وثقل الظل، وعسر الفهم، واتهم النحاة بأنهم اختلفوا كثيراً. ولجأوا الى مسوغات. وعجيب أن ترمى العربية بأنها لغة صعبة، وأن يتهم النحو بالتعقيدات والصعاب فتجري محاولات لتيسيره تارة. وتجديده أخرى كأنه مادة علاها الصدأ، وتكاثف عليها الغبار وأصبحت تحتاج الى صقل. ولسنا ندري كيف لفقت التهم للنحو؟ ومن الذين لفقوها؟ وواقع الحياة، وحياة الدارسين تبرأ منها. وتنكرها. لقد كان جيلنا في الأربعينات يحب النحو. ويحتفي بقواعد اللغة. وضوابط الاعراب واعترف أنني احببت النحو. وأجللت النحاة. وراقتني أذواقهم وارتحت الى كثير من تعليلاتهم أمثال: كراهيتهم توالي أربع حركات فيما هو كالكلمة الواحدة عند اسناد الفعل الى تاء الفاعل، وتسميتهم للنون التي تقي المضارع من الكسر نون الوقاية عند اسناده الى ياء المتكلم وتخلصهم من التقاء الساكنين بتحويل اولهما بالكسر، وغير ذلك. وكنت أتمنى أن يحض الأدباء والأساتذة والدارسون الطلاب والطالبات على تعلم النحو. وفهم قواعده. ودراسة أبوابه، وأن يبذلوا في ذلك بعض الجهد للوصول الى الهدف المقصود من تعلم النحو ودراسته. وأقف هنا لحظة لأقرر أن النحو ليس هدفاً بل وسيلة لتحقيق غاية أو غايات منها فهم القارىء لما يقرأ. ووعيه ما استوعب من سطور كتاب أو أبيات شعر. ومنها أن يصل الدارسون الى الحد الذي يعصمهم من اللحن والخطأ في الحديث اذا تحدثوا. وفي الكتابة اذا كتبوا. وعبروا عما يجول في افكارهم. وفي القراءة اذا قرأوا نصاً شعريا أو نثريا من أدبنا القديم أو الحديث. ومن المعلوم أن الكلام الخالي من اللحن والخطأ ليس أدباً لأن الأدب يشترط بالاضافة الى صحة الجملة وسلامة العبارة، التأنق في الأسلوب ورعاية الجانب الجمالي في التعبير. وهذه مرتبة تأتي بعد صحة الجملة وسلامة العبارة. وكل أديب، شاعراً كان أو ناثراً، ملزم بأن يحقق في أدبه أناقة الجمل. واختيار الكلمات ذوات الاشعاع، أو ما نسميه رعاية الجمال الذي لا يعد الأدب بدونه أدباً، ومن أجل ذلك نربأ بمن يبدع ان يكون فقيراً في ذخيرته اللغوية. وغير متمكن من معرفة قواعد النحو، وطريقة بناء العبارة، وتكوين الجملة التي تؤدي المعنى المقصود في غير غموض وتعقيد.

**وتعد** دراسة قواعد النحو من هذه الناحية ضرورة لا مناص منها لأن علوم البلاغة، وقضايا النقد، وتذوق

الجمال في الأسلوب مرتبط بتلك الدراسة ومتوقف عليها حيث لا يستطيع دارس علوم البلاغة أن يفهم التقديم والتأخير، والحذف والذكر والقصر وأدواته الا اذا كان خبيراً بقواعد النحو وضوابط الاعراب. وأقرر ان دراسة أبواب اللغة العربية التي تصل بالدارس للهدف الذي حددناه ليست من الصعوبة بالدرجة التي تصورها قلة من الكتاب. ومن الثابت المسلم به أن دراسة أي لغة تحتاج الى بذل جهد. وكبير عناية. فالأفعال في اللغة العربية ثلاثة حسب الأزمنة ويؤخذ المضارع من الماضي. والأمر من المضارع بسهولة ويسر. بينما هي بالانجليزية متعددة الصيغ والأزمنة. والزمن مقسم في الماضي والمضارع الى اقسام. وفي الفرنسية أكثر صعوبة وأشد تعقيداً كما يظهر ذلك في تقسيم الأفعال الى ثلاث مجموعات لكل مجموعة قواعد تنظمها.

ان تعلم اللغة العربية بالقدر الذي يجعل القارىء يفهم ما قرأ، والذي يعصم المتحدث والكاتب من الخطأ واللحن اذا تحدث أو كتب أو ينأى بالقارىء عن أن يرفع المنصوب. وينصب المرفوع. واجب محتوم على الطلاب والدارسين في القسمين العلمي والأدبي في المرحلة الثانوية، وما بعدها.

لقد كانت العناية باللغة العربية فائقة في الثلث الأول من هذا القرن، ويحرص الدارسون — على اختلاف ثقافتهم — على أن يتمكنوا من علومها ويحذقوها. يستوي في حذقها ومعرفة اسرارها ودقائقها طلبة الآداب والحقوق والطب والهندسة والعلوم. ومن أدلة ذلك أن ظهرت في تلك الحقبة مؤلفات محمد حسين هيكل ومحمد عوض محمد. وأحمد زكي في فروع المعرفة مصوغة في أسلوب مشرق. ونسيج محكم وتناولت موضوعات علمية وفلسفية وتاريخية الى جانب الموضوعات الأدبية. ولقد أتى عبد القاهر الجرجاني. عبقري النقد. بفكرة النظم. ووضح الصلة بين النظم والنحو فقال: «واعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو. وتعمل على قوانينه وأصوله. وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها فتنظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق. وينطلق زيد. ومنطلق زيد، وفي الشرط والجزاء وتنظر في الجمل التي تسرد فتعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، وتتصرف في التعريف والتنكير. والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار. والاضمار والاظهار فتضع كلا من ذلك في مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له..»

**هكذا** أبرز عبد القاهر الجرجاني أهمية النحو في فكرة النظم. وهكذا كشف عن ضرورة النظر في وجوه الخبر. واللغة العربية بنحوها وصرفها. وبلاغتها وعروضها بحْر يزخر بالدر. وهي لغة العلم والحضارة التي لم تتأب على ما استحدث من علوم وفنون نقلت اليها. فهل يصح ان تتهم من ابنائها؟ رحم الله شاعر النيل وهو يقول على لسانها:

**رموني بعقم في الشباب وليتني**
**عقمت فلم اجزع لقول عداتي**

وهل يصح ان يظلم أبناء العربية لغتهم. ويصوبون لها سهام النقد والتجريح. فترمى بأنها صعبة. وبأن نحوها جاف وثقيل؟ في الوقت الذي يجب عليهم ان يصونوها ويدافعوا عن فصاحتها. ويذودوا عن حماها. وكيف يستطيع الأديب أن يبدع رائع الشعر. وبليغ النثر اذا هو لم يعرف دقائق لغته. وأسرار بيانها. ويتقن بناء جملها وتركيب عباراتها واختيار المفردات. وكيف يكون قدوة لغيره واسلوبه مهلهل وبناء عبارته خطأ.

يقول الدكتور زكي مبارك عن الأديب الحق اننا اذا درسنا اقطاب الأدب في العصر الحاضر وجدناهم من أهل البصر بلغاتهم وكذلك كان الحال في كل أرض، وفي كل زمان. فالأديب العربي مسؤول عن التعمق في اللغة العربية. ولا يليق به ان يعرف شكسبير قبل أن يعرف أبا الطيب المتنبي. ولا يصح ان يعرف «جون ملتون» قبل أن يعرف ابا العلاء المعري. فان سمعتم عن أديب عربي يحسن الكلام عن «ويلز» أو «بلزاك» وهو لم يسمع بابن خلدون. فاعرفوا انه أديب شيطاني.

الأديب الحق بين العرب هو الذي يعرف من اسرار اللغة العربية ما يعرف الأديب الانجليزي والفرنسي والالماني من أسرار الانجليزية والفرنسية والالمانية. ونحن مع الدكتور، ولكنا نؤكد أولاً على ضرورة ان يعرف الأديب العربي من قواعد اللغة ما يمكنه من فهم كلام المتنبي والمعري. وصيانة لغتنا العربية واجب تفرضه علينا عروبتنا. ويفرضه علينا ديننا، لنتدبر آي القرآن الكريم، ونتفهم تراثنا الغالي. ولأن لغتنا الفصحى لغة الحضارة والعلم القادرة على التعبير عن كل مطالب العصر بما فيها من عناصر خلود وبقاء.

**هكذا** فهم أعلام الأدب. وقادة الفكر من أمثال عباس محمود العقاد. وعبد الرحمن شكري. وابراهيم عبد القادر المازني، ومحمد حسين هيكل. ومحمد عوض محمد، والدكتور احمد زكي. دقائق اللغة. وتنوع الأساليب. فقدموا لنا من ثمار قرائحهم ولقاح عقولهم، ما نعتز به ونفاخر على مر الأجيال وتعاقب السنين.

والفصحى تنشدنا في مطلع كل صباح جديد قولها الذي يردده الزمان:

**أنا البحر في احشائه الدر كامن**
**فهل سألوا الغواص عن صدفاتي**

د. كامل السوافيري / القاهرة

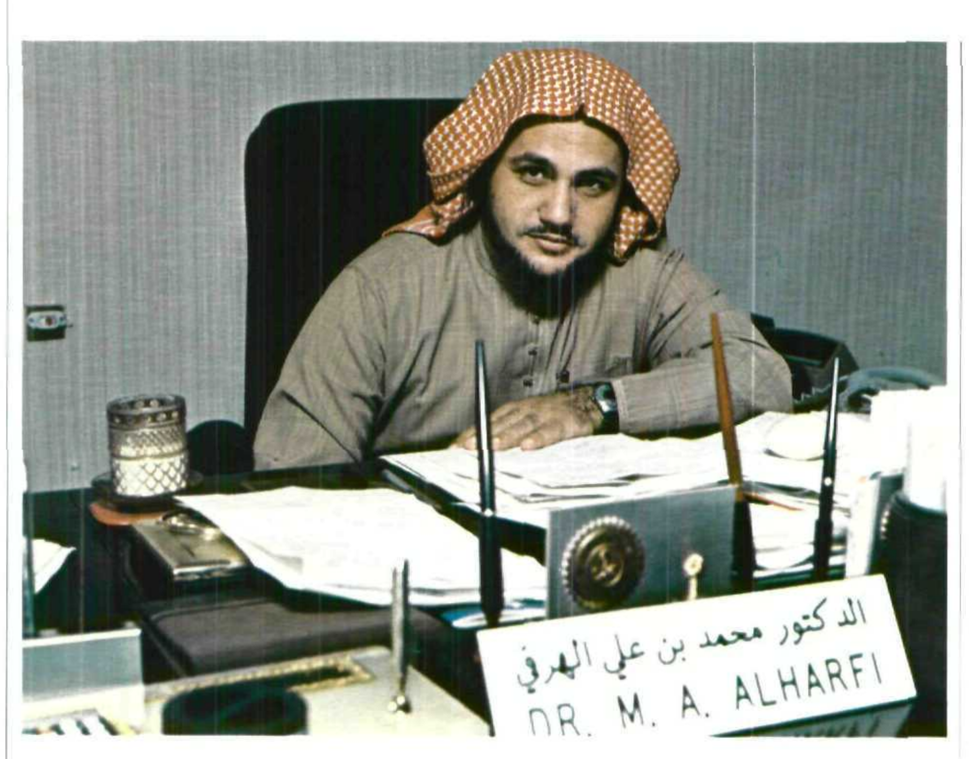
# د. محمّد بن علي الهرفي

"شخصية العدد" ركن جديد سيظهر تباعاً على صفحات "القافلة" .. والفكرة من استحداث هذا الركن هي تعريف القراء بنخبة من الشخصيات المرموقة المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، وتسليط الأضواء على ما قدموه من معطيات عبر مسيرة حياتهم تبرز الجوانب المضيئة لما تبنوه من مواقف وآراء ، اسهمت الى حد كبير في معالجة القضايا الفكرية والثقافية والعلمية والأدبية والتربوية . فانطلاقاً من هذه الفكرة الرامية الى خدمة الفكر النير والكلمة الهادفة الواعية ، التقت القافلة بالدكتور محمد علي الهرفي ـ مدير عام كليات البنات بالدمام

**■ بصفتكم مديراً عاماً لكليات البنات في الدمام فهل يمكن أن تعطوا القراء فكرة عامة عن تأسيس الكليات ونشأتها ؟**

□ في بداية عام ١٣٩٩ هـ أمر صاحب السمو الملكي ولي العهد بافتتاح كليات في الدمام تخدم طالبات الأقسام العلمية والأدبية نظراً لأن طالبات المنطقة الشرقية كن ، سابقاً ، يواصلن دراستهن الجامعية اما في الرياض أو جدة ، ويحصل لهن بسبب البعد عن أهاليهن صعوبات متعددة ، فجاء الأمر بافتتاح هذه الكليات كي تيسر لهن فرصة الدراسة الجامعية وهن بالقرب من أهاليهن .

وقد قمنا بافتتاح هذه الكليات فعلاً في مطلع العام الدراسي الماضي ١٣٩٩ هـ. ولقيت اقبالاً منقطع النظير .




**■ كم عدد الكليات الموجودة حالياً وعدد الطالبات في كل فرع ؟ وكذلك عدد أعضاء الهيئة التعليمية ؟**

□ الكليات الموجودة حالياً اثنتان : كلية الآداب وكلية العلوم . ويبلغ عدد الطالبات في كلية الآداب سبعمائة وستا وعشرين طالبة منتظمة وخمسمائة طالبة منتسبة ، وتتوزع الطالبات في أقسام متعددة في الكلية . ويبلغ عدد الطالبات في كلية العلوم حوالي ٤٠٠ طالبة وهن موزعات على مختلف الأقسام . أما عدد أعضاء الهيئة التعليمية في الكليات فيبلغ احدى وثمانين مدرّسة في مختلف التخصصات .

**■ ما هي مشاريع المستقبل بالنسبة لكليات البنات وما الذي تطمحون الى تحقيقه وأنتم في مركزكم الحالي ؟**

□ من المشاريع التي نسعى الى تنفيذها في القريب العاجل اقامة مبان

للكليات تستوعب حوالي خمسة آلاف طالبة مع اقامة المرافق الضرورية لهذه الكليات كالمعامل المختلفة وصالات المحاضرات والمكتبة المركزية والمسجد ، والحدائق التي تكون متنفساً للطالبات .

أما عن المشاريع الأخرى فالواقع أن الآمال التي تدور في الذهن كثيرة جداً ، ونسعى قدر الامكان الى تحقيق رغبات المواطنين في ايجاد كل التخصصات التي تناسب الفتاة لنساهم في ايجاد الفتاة المسلمة المتعلمة القادرة على العطاء والبذل والنهوض بمستوى مجتمعها الى الحد الذي نطمح اليه جميعاً . ومن هذا المنطلق فقد بدأنا فعلا في البحث عن مكان مناسب يستطيع استيعاب المشاريع الاساسية والضرورية التي تكون صالحة في المستقبل لتحقيق هذه الطموحات. فكان من نتيجة المساعي التي بذلناها في هذه الفترة ، وتعتبر قصيرة جداً ، الحصول على أرض في مدينة الدمام ، تبلغ مساحتها حوالي ثمانمائة ألف متر مربع ، لنقيم عليها ان شاء الله الكليات المختلفة وذلك بموازرة ودعم المسئولين الذين يحرصون تماماً على دفع عجلة التعليم الى الأمام .

■ **ما هي متطلبات الالتحاق بالكليات بالنسبة للطالبة المنتظمة والطالبة المنتسبة ، وهل هناك قيود بالنسبة للسن والحالة الاجتماعية ؟**

□ يشترط للطالبة التي ترغب الالتحاق بكلية العلوم أن تكون حاصلة على الشهادة الثانوية قسم علمي بنسبة نجاح لا تقل عن ٧٠ في المئة وبالنسبة لكلية الآداب تشترط نسبة نجاح لا تقل عن ٦٠ في المئة .

ونتيجة للاقبال الشديد على الالتحاق بالكليات في العامين الماضيين وعدم قدرتنا على استيعاب كل الاعداد المتقدمة فقد اضطررنا الى رفع النسب التي أشرنا اليها سابقاً ، كما لجأنا الى تحديد أعوام التخرج التي مضت على الشهادة الثانوية ، فمثلاً في العام الماضي كنا نقبل خريجات عام ١٣٩٨ هـ وعام ١٣٩٩ هـ فقط والحاصلات على تقدير جيد جداً وممتاز . وهذا العام أخذنا خريجات عام ١٤٠٠ هـ و ١٣٩٦هـ و ١٣٩٧ هـ فقط . ومع هذه القيود ، فان الاقبال شديد ، اذ يوجد في كلياتنا الآن حوالي ألفي طالبة .

أما بالنسبة للمنتسبات فيخضعن لنفس الشروط السابقة مع تحديد نسبة القبول منهن في حدود ١٥ في المئة من مجموع



المنتظمات . وقد اضطررنا — نظراً للاقبال الكبير — أيضاً أن نتجاوز هذه النسبة كي نلبي ولو جزءاً من الطلبات الكثيرة التي تقدمت بها طالبات المنطقة لمواصلة تعليمهن الجامعي . وهناك شرط آخر بالنسبة للمنتسبات ، وهو موافقة جهة عمل الطالبة ، اذا كانت موظفة ، على الانتساب للكلية بحيث تسمح لها جهة عملها حضور الامتحانات أو المواد الدراسية التي ترى الكلية أهمية حضور الطالبة المنتسبة للفصل ، للاستفادة من توجيهات مدرسات تلك المواد .

■ **كتابكم « شعر الجهاد في الحروب الصليبية » يؤرخ أيضاً ، بشكل غير مباشر ، لتلك الحروب . فما هو ، في نظركم ، الأثر الذي خلفته الحروب الصليبية في الحياة الاجتماعية والثقافية لأهل البلاد ؟**

□ ان دارس تاريخ الحروب الصليبية يلمس بوضوح أن هذه الحروب التي استمرت زهاء قرنين من الزمان تركت أثاراً نفسية واجتماعية وثقافية على الشعوب الاسلامية . فالصليبيون الغزاة كانوا يضمون في جيوشهم أجناساً متعددة أقام بعضها في البلاد الاسلامية بعد انتهاء تلك الحروب وخالطوا أهلها فتأثروا بهم وأثروا فيهم .

وبايجاز شديد أقول أن التأثر الثقافي يظهر لنا بوضوح في عدة أمور منها : أن القراء المسلمين والكتاب كذلك استعملوا بعض الكلمات الأجنبية في لغتهم مما لم يكن موجوداً قبل هذه الفترة ، فالمقريزي ، وهو من مؤرخي تلك الفترة ، عندما يتحدث عن لويس التاسع عشر يقول ، وكان هذا ريد أفرنس من أعظم ملوك الفرنجة وأشدهم بأساً . وافرنس هي أمته من الفرنج ، ومعنى ريد افرنس ملك افرنس ، فان ريد في لغتهم معناه « ملك » . وابن شداد الذي أرخ لحياة صلاح الدين في كتابه « النوادر السلطانية » يلجأ الى استعمال الكلمات الأجنبية كذلك ، فعندما يتحدث عن الجزية التي فرضها الافرنج على المسلمين عندما حاصروا عكا ، يقول : انها « تدفع في تروم كثيرة ، كل ترم شهر » .

ووجدت الكلمات الأجنبية كذلك طريقها الى لغة الشعر ، ومثال ذلك ما

جاء في شعر ابن منير الطرابلسي وهو من أشهر شعراء تلك الفترة فيقول من قصيدة له في فتح « عزاز » يصف قائد الفرنجة :

**تبرنس منهـا البرنس القباب**
**وحلتـه من وقـع أحلابهـا**

. فهو استعمل كلمة « البرنس » بمعنى الأمير واستخرج من هذه الكلمة الأجنبية فعلاً على قياس الأفعال باللغة العربية .

ومظهر آخـر مـن مظاهر التأثر الثقافي عند المسلمين نتيجة تلك الحروب هو الاكثـار من استعمال كلمـات « الشرك ، الكفر ، الصليب » وأمثال هذه الكلمات في صورهم الشعرية ، فهذا ابن العمار الاصفهاني يشبه الكفر بالانسان المتندم الذي يعض على يديه حسرة دائماً وهو يرى انتصار الاسلام عليه . يقول :

**واهـتز عطفُ الاسلام من جذل**
**وافـترّ ثغرُ الايمـان وابتسما**
**واستبشرت أوجُـه الهـدى فرحا**
**فليقـرع الكفـرُ سنه ندمـا**

ومن التأثر الثقافي كذلك لجوء بعض الشعراء الى رثاء المدن التي أخذهـا الصليبيون وهجاء الأمراء المتخاذلين عن قتال الصليبيين ، وكذلك الانصراف الى التأليف عن الجهاد .

أما الآثار الاجتماعية لتلك الحروب فهي كثيرة كذلك ، منها : انصراف بعض المسلمين الى العبادة والتصوف ودعاء الله عز وجل ليكشف الضر عنهم، وآثروا تلك العبادة على الجهاد الذي يطلب من المسلم في مثل تلك الظروف التي لا تكفي فيها العبادة فقط .

ومن الآثار الاجتماعية كذلك أن تلك الحروب ، كغيرها من الحروب في كل عصر ، أدت الى هبوط الحالة الاقتصادية في البلاد وكثرة الفقر والجوع والتشرد ولجوء البعض الى السرقة والنهب بحثاً عن لقمة العيش .

وقد أدت هذه الحروب ايضاً الى لجوء بعض الشعراء الى شعر التملق والمدح الكاذب بغية الحصول على لقمة العيش .

وبسبب كثرة الرقيق وانتشاره لجأ بعض الشعراء الى الموضوعات الماجنة . وبسبب هذه الحروب كذلك انتشرت الخمور في الأوساط الاسلامية . وقد حارب هذه الأمور الأمراء الأتقياء أمثال صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس .

■ **ما الذي غلب على الشعر ابان الحروب الصليبية : المدح والغناء ، الرثاء ، الهجاء ، الحنين الى الديار ، الخ. وهل كان للغزل مكان ؟**

□ في الواقع أن موضوعات الشعر في هذا العصر لم تختلف كثيراً عـن الموضوعات الشعرية التي كانت موجودة من قبل . غير أن بعض الشعراء تأثروا بحركة الجهاد الكبرى التي أعقبت الهجوم الصليبي على بلاد المسلمين فأوقف هؤلاء معظم قصائدهم على متابعة حركة الجهاد .

وقد كان لشعر الغزل دور كبير في هذا العصر اذ أن كثرة الأسرى من النساء والغلمان روجت لهذا النوع من الشعر ، فجعل الشعراء يتباهون بحسنهم وجمالهم ويكثرون من ذكر أوصافهم .

وقد أوقف بعض الشعراء ديوانه كله على الغزل ، كمحمد بن حمويه الدمشقي الذي وصف قصائده بأنها « كلام يهيج الغرام ، ويسكن الوجد والهيام ، ويبلغ المرام في كل مكان ومقام ، ويطيب الحلال ويبغض الحرام ، ويمرض الصحيح ويشفي من الأسقام ، ويبرد نيران الوجد ويعطف الحبيب بعد الهجران » . وكان معظم ديوان التلعفري غزلا كذلك .

■ **تطرقتم في الحديث عن الشعراء الى أربعة من بلاد الشام واثنين من أرض الكنانة فعلام اعتمدتم في اختياركم هذا ؟ وهل كان لهؤلاء الشعراء نشاطات أخرى غير الشعر ، كالاشتراك في الحرب مثلا أو في الحكم ؟**

□ تحدثت في رسالتي عن كثير من شعراء الجهاد في فترة الحروب الصليبية ولكنني ، كما ذكرتم ، ترجمت بالتفصيل لأربعة شعراء من بلاد الشام وشاعرين من مصر . وكان هؤلاء الشعراء هم

أبرز شعراء الجهاد في تلك الفترة ولذا آثرت أن أخص كل واحد منهم بترجمة مفصلة ولم يكن بالامكان الترجمة لجميع شعراء الجهاد في تلك الفترة لكثرتهم من جهة ، ولأن المنهج الذي اتبعوه في قصائدهم لا يخرج كثيراً عن منهج الشعراء الذين ترجمت لهم .

وقد ساهم بعض هؤلاء الشعراء في الجهاد كأسامة بن منقذ ، الذي بدأ معركة الجهاد ضد الصليبين وهو في الخامسة عشرة من عمره . ثم اشترك مع عماد الدين زنكي في الحروب التي خاضها ضد الصليبيين . ثم سافر أسامة بعد ذلك الى مصر وقضى فيها عشر سنين ، قاد خلالها عدة حملات ضد الصليبيين في بلاد الشام . ثم اجتمع بعد ذلك بنور الدين زنكي أشهر قادة الحروب الصليبية وخاض معه عدة معارك. وقد تحدث عنه أبو شامه في كتابه « الروضتين » عند حصاره لقلعة « حارم » سنة سبع وخمسين وخمسمائة هجرية . تحت راية نور الدين فقال عنه : « وكان معه في هذه الغزوة الأمير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ ، وكان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها » وليس أدل على شجاعة أسامة من قول صلاح الدين الأيوبي عندما علم بوفاته فقال « مات اليوم شاعر الأمير وفارسها » .

وقد ساهم بعضهم كذلك في الحكم كالملك الصالح طلائع بن رزيك الذي تولى الوزارة في مصر سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجرة وكان ذا شعر حسن ، وقد اهتم كثيراً بحركة الأدب في عصره حيث أغدق على الشعراء والكتاب . وقد مدحه كثير من المؤرخين منهم ابن الأثير الذي قال عنه : « وكان الصالح كريماً أديباً له شعر جيد وكان ينفق على أهل العلم والأدب ويكرمهم » .

وهكذا تلاحظون معي انني تحدثت عن أبرز شعراء الجهاد في تلك الفترة في بلاد الشام وفي مصر وقد تحدثت عن شعراء مصر بوجود الروابط القوية بين الدولتين المصرية والشامية حينذاك . ولأن الحروب الصليبية شملت كلتا الدولتين فكان لا بد من الاشارة الى شعراء مصر وأثرهم على حركة الجهاد في تلك الفترة .

■ **ما الذي كان أسبق الى الظهور خلال ذلك العصر : شعر الجهاد أم الجهاد نفسه ؟**

□ الجهاد وشعر الجهاد قضيتان متلازمتان لا يمكن أن نفصل واحدة عن الأخرى . ومع هذا التلاحم الكبير بين الجهاد وشعر الجهاد الا أن شعر الدعوة الى الجهاد برز الى الساحة قبل أن يقوم قادة المسلمين بالجهاد ولكن لفترة وجيزة جداً . ودليل ذلك قصيدة الشاعر « ابن الخياط » التي قالها عندما سمع بخبر مجيء الصليبيين الى بلاد الشام وقد قدم هذه القصيدة الى عضب الدولة زعيم الجيوش وحاكم دمشق ، وحثه فيها على مقاومة الغزاة والدفاع عن ديار الاسلام وأهله والابتعاد عن الكسل والخنوع ، وقد جاء في هذه القصيدة قوله :

**أنوما على مثل هد الصفاة ... وهزلا وقد أصبح الأمر جدا**
**وكيف تنامون عن أعين ... وترنَ فأسهرتموهن حقدا**
**بنو الشرك لا ينكرون الفساد ... ولا يعرفون مع الجور قصدا**
**فحاموا عن دينكم والحريم ... محاماة من لا يرى الموت فقدا**
**وسدوا الثغور بطعن النحور ... فمن حق ثغر بكم أن يسدا**

ثم برز الجهاد بعد ذلك ، واخذ الشعر يواكب احداثه ووقائعه وانطلق الشعراء يحثون قادة المسلمين على الجهاد ويصفون معاركهم التي يخوضونها ويمدحون المقاتل الشجاع ويهجون المتخاذل الجبان .

■ **بحكم تخصصكم في العربية وآدابها ، ما الذي يدور بخاطركم عند سماع هذا البيت ؟**

« **وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات** »

□ أولاً هذا البيت من قصيدة لحافظ ابراهيم مطلعها :

**رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي**

الى أن يقول :

**وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات**
**فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات**

وهذه القصيدة تبين كيف ابتعد العرب عن لغتهم وأهملوها ثم اتهموها بالقصور وبأنها لغة لا تواكب تطور العلوم والمخترعات الحديثة .

والأمر الثاني الذي يدور بخاطري وأنا اسمع هذا البيت ، الواقع المؤلم لأبناء العروبة والاسلام وهم يبتعدون عن لغتهم شيئاً فشيئاً مقلدين لغة أعدائهم من جهة واللهجات العامية من جهة أخرى . ولا بد هنا من الاشارة الى نقطة هامة في هذا الموضوع وهي أن من أهم عناصره اتحاد الأمة الاسلامية اتحاد المسلمين في لغة واحدة يفهمونها جميعاً ، ولا يوجد غير اللغة العربية مؤهلة لهذا الدور لأنها لغة القرآن الكريم .

وأذكر ذات مرة أنه في احدى زياراتي لدول المغرب وجدت صعوبة بالغة في التخاطب مع الأخوة هناك لأن اللهجة السائدة هناك تختلف اختلافاً كبيراً عن اللهجات التي نعرفها في بلادنا وفي البلاد المجاورة ، كما أن مفردات اللغة الفرنسية منتشرة بكثرة في لهجة التخاطب في دول المغرب . وكم كان هذا مؤلماً بالنسبة لي وأنا أجد تلك

الصعوبة في التخاطب مع أخوة لي في الاسلام . فلو كانت اللغة العربية الفصحى هي لغة التخاطب بين المسلمين لما كانت هناك مشكلة على الاطلاق .

وأمر ثالث يجول في خاطري وهو أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به الحكومات الاسلامية للتشجيع على انتشار لغة القرآن بين الافراد وفي المدارس والجامعات .

■ **عندما يذكر شعراء الحكم والأمثال أو تقرأون عنهم ، فمن هم الثلاثة الذين يأتون في مقدمتهم ، وما ميزات كل منهم ؟**

□ يخطر في بالي الآن بعض الشعراء الذين اشتهروا بالحكمة في أشعارهم ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى ، صالح بن عبد القدوس ، المتنبي ، ابو تمام ، وابو العتاهية وغيرهم .

ولا أستطيع أن أقول ان أحداً منهم خير من الآخر فكلهم أعلام كبار أبدعوا في فنهم أيما ابداع وخلفوا لنا شعراً في غاية الجودة والجمال .

فهذا زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي يمتدحه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فيقول عنه : انه أشعر الشعراء . ولما سئل عن سبب هذا القول أجاب : انه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً الا بما فيه . ومن روائع حكم زهير قوله :

**ومن هاب أسباب المنايا ينلنه**
**ولـو رام أسباب السماء بسلم**

ومن روائعه كذلك قوله في الحكم :

**ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا**
**ولكن حمد الناس ليس بمخلد**

وكما مدح عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، زهيراً ، فقد مدحه كذلك عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، عندما سمع قوله :

**ومهما تكن عند امرىء من خليقة**
**وان خالها تخفى على الناس تعلم**

فقال عثمان : أحسن زهير وصدق . لو أن رجلا دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .

وكما أبدع زهير في فنه فقد أبدع كذلك أبو تمام الذي كان يقال عنه : أنه أشعر أهل زمانه .

ويمتاز شعر ابي تمام باللطافة ، وجودة الألفاظ ، ودقة المعاني ووضوحها . انظر اليه وهو يتحدث عن ميزة الشعر وفوائده فيضرب مثلا لذلك بالشمس التي تغدو وتروح ، وتأتي مرة وتذهب أخرى ولولا هذه الحركة الدائبة لملها الناس مع شدة نفعها لهم . ويقول :

**وطول مقام المرء في الحي مخلق**
**لديباجتيه فاغـتـرب تتجـدد**
**فاني رأيت الشمس زيدت محبة**
**الى الناس أن ليست عليهم بسرمد**

وثالث الثلاثة صالح بن عبد القدوس وهو أكثرهم شعراً في هذا الباب بل ان شعره كله أمثال وحكم وآداب . وميزة هذا الشعر غزارة معانيه ، وحسن ألفاظه ، وبعده عن التعقيد .

ومن حكمه أبياته التي كانت سبباً في مقتله وهي قوله :

**والشيخ لا يـتـرك اخلاقـــه**
**حتى يوارى في ثـرى رمسه**
**اذا ارعـوى عاد الى جهلـه**
**كـذى الضنى عاد الى نكسه**

وسبب ذلك أن ابن عبد القدوس كان متهماً بالزندقة فأمر المهدي بحمله اليه فلما رآه وسمع منه أعجب به فأمر باطلاقه فلما انصرف ناداه وسأله ألست القائل ثم ذكر البيتين قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : فأنت لا تترك أخلاقك ، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ثم أمر به فقتل .

ومن أشهر قصائده في الحكم قصيدته التي مطلعها :

**صرمت حبالك بعد وصلك زينب**
**والـدهـر فيه تصرم وتقلـب**

الى أن يقول :

**واحذر معاشرة الدنيّ فانهـــا**
**تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب**
**يلقاك يحلف انه بك واثـــق**
**واذا توارى عنك فهـــو العقرب**

ومن روائعه أبياته التي يقول فيها :

**ليس من مات فاستراح بميت**
**انما الميت ميت الأحيـــاء**
**انما الميت مـــن يعيش كئيبا**
**كاسفاً بالـــه قليل الرجـــاء**

■ **ما رأيكم في التطور الثقافي والأدبي الذي تمر به المملكة ؟**

□ تمر المملكة العربية السعودية الآن بنهضة ثقافية وأدبية تبشر بخير كثير . فالجامعات — وهي دور الثقافة الرئيسية — تقوم بدور كبير في هذا المجال . فهي تنشر الثقافة بكل معانيها وأنواعها في أوساط الشباب . ففي المملكة الآن ست جامعات . ولهذه الجامعات فروع منتشرة في بعض مدن المملكة . وبالاضافة الى ذلك فهناك الكثير من الكليات الأخـرى ذات التخصصات المتنوعة . وكما انتشر تعلم الشباب فقد انتشر كذلك تعلم الفتيات ، وفي كل مناطق المملكة نجد الفتاة تقبل على التعليم بشكل منقطع النظير وليس أدل على ذلك من أن كلياتنا التي افتتحت منذ سنتين فقط فيها الآن حوالي ألفي طالبة .

وبجانب النهضة الثقافية ، هناك نهضة أدبية كذلك . فنحن نرى الآن كثيراً من الأدباء الشباب السعوديين ، يكتبون ويؤلفون في جوانب الأدب المتعددة من نثر وشعر . فظهرت المؤلفات الأدبية واحتلت مكانها في المكتبة العربية كـما ظهرت كذلك بعض المجلات المتخصصة في هـــذا المجـال كمجلة « المنهل » و « العرب » و « الفيصل » وغيرها .

وفي اعتقادي كذلك أن المجال لا

يزال مفتوحاً أمام أدبائنا كي يعطوا أكثر مما نراه الآن على جودته . فالطريق طويل وشاق ولا بد من الصبر . وهنا يأتي دور الجامعات والوزارات المختصة في تشجيع هؤلاء الأدباء وترشيدهم ودفعهم دائماً الى الانتاج الخير المفيد لهم ولبلادهم .

■ **ختام الحديث : من هي الشخصية المثالية التاريخية ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي تعتبرونها القدوة الصالحة من حيث القيادة السياسية والدينية والاجتماعية ؟ نرجو التحدث عنها ؟**

□ يحفل تاريخ الاسلام والمسلمين بشخصيات عظيمة كلها يصلح أن يكون قدوة يقتدى بها . ولم يكن بامكان المسلمين نشر الاسلام في أكثر بقاع الأرض وفي فترة وجيزة جداً ، لو لم تكن شخصياتهم وأخلاقهم قدوة لأهل تلك البلاد . ومن المعروف تاريخياً أن بعض البلاد أسلمت عن بكرة أبيها دون أن يدخلها جندي واحد من جنود المسلمين ، وانما تأثر أهلها بأخلاق ومعاملات التجار المسلمين الذين كانوا يقصدون تلك البلاد للتجارة . فكانوا مثالا في الصدق والأمانة وأداء الحقوق لأهلها ، فاقتدى بهم أهل تلك البلاد فدخلوا في الاسلام .

أما الشخصية التي لها أثر في نفسي فهي شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . ذلك الرجل الذي أعز الله به الاسلام . الرجل الشجاع الحازم ، قال عنه ابن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، وقال عكرمة : لم يزل الاسلام في اختفاء حتى أسلم عمر . وعندما خرج الى المدينة مهاجراً ، خرج في وضح النهار غير خائف ولا وجل بل أنه تحدى قريشاً قائلاً : من أراد أن تثكله أمه فليتبعني . فلم يتبعه أحد لما يعرفون من جرأته وشجاعته .

وفي أيام عمر فتحت الشام ومصر والعراق والجزيرة والمدائن . ومع اتساع رقعة بلاده كان يمشي في الأسواق منفرداً ، ويقضي بين الناس ، ويقضي لهم حوائجهم . وكان من أزهد المسلمين في أيامه حتى أنه كان يعيش على الخبز اليابس والخل ، وما دان من الطعام .

ولعمر رضي الله عنه ، اصلاحات اجتماعية كثيرة فهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري بعد أن كانوا يؤرخون بالوقائع ، كما اتخذ بيتاً للمال ، وأول من دون الدواوين في الاسلام وجعلها على الطريقة الفارسية لاحصاء أصحاب الاعطيات وتوزيع المرتبات عليهم . كما انه أدخل لفظة « الحمد لله » و « لا اله الا الله وحده » و « محمد رسول الله » على الدراهم الكسروية التي كان يتعامل بها المسلمون . لقبه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالفاروق وكناه بأبي حفص .

واشتهر رضي الله عنه ، بعدله وقصته مع ابن عمرو بن العاص حاكم مصر في عهده مشهورة ، وله وقائع واصلاحات يضيق مجال ذكرها ، غير أن تاريخ عمر خير كله . كيف لا وقد نزل القرآن الكريم موافقاً لآراء عمر في كثير من الأمور التي كان يختلف فيها الصحابة ، وقد قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه : اتقوا غضب عمر فان الله يغضب لغضبه □

اجرى اللقاء :

ابراهيم أحمد الشنطي/ هيئة التحرير

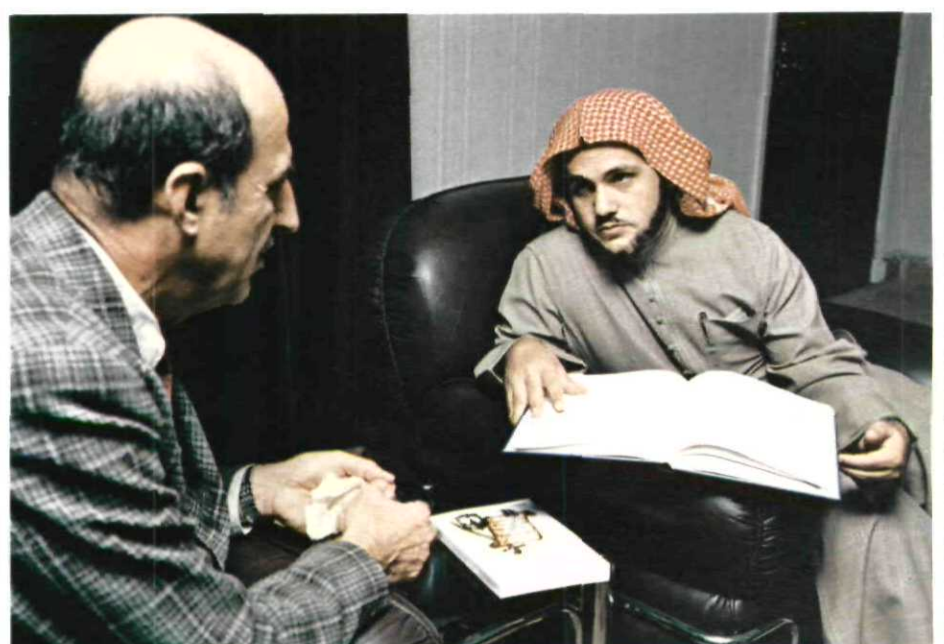
---

د. محمد بن علي الهرفي - مدير عام كليات البنات في الدمام .

- نشأ في مدينة الرياض وتلقى دراسته الأولية والثانوية فيها .
- بعد الثانوية التحق بكلية الآداب بجامعة الرياض وتخرج منها عام ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ .
- في عام ١٣٩٤ هـ حصل على شهادة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر من قسم الأدب والنقد . وفي العام نفسه التحق بوكالة الرئاسة العامة للتعليم العالي بالرياض .
- في عام ١٣٩٨ هـ حصل على شهادة الدكتوراة من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، وكان موضوع الرسالة « شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام » .
- وفي عام ١٣٩٩ هـ عين مديراً عاماً لكليات البنات في الدمام .
- طبع له كتاب « شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام » ثلاث طبعات . كما طبع له النادي الأدبي بالرياض :

كتاب « الحرب الصليبية وأثرها على الشعر العربي » وله كتاب تحت الطبع هو « البارودي والشعر الاسلامي » .

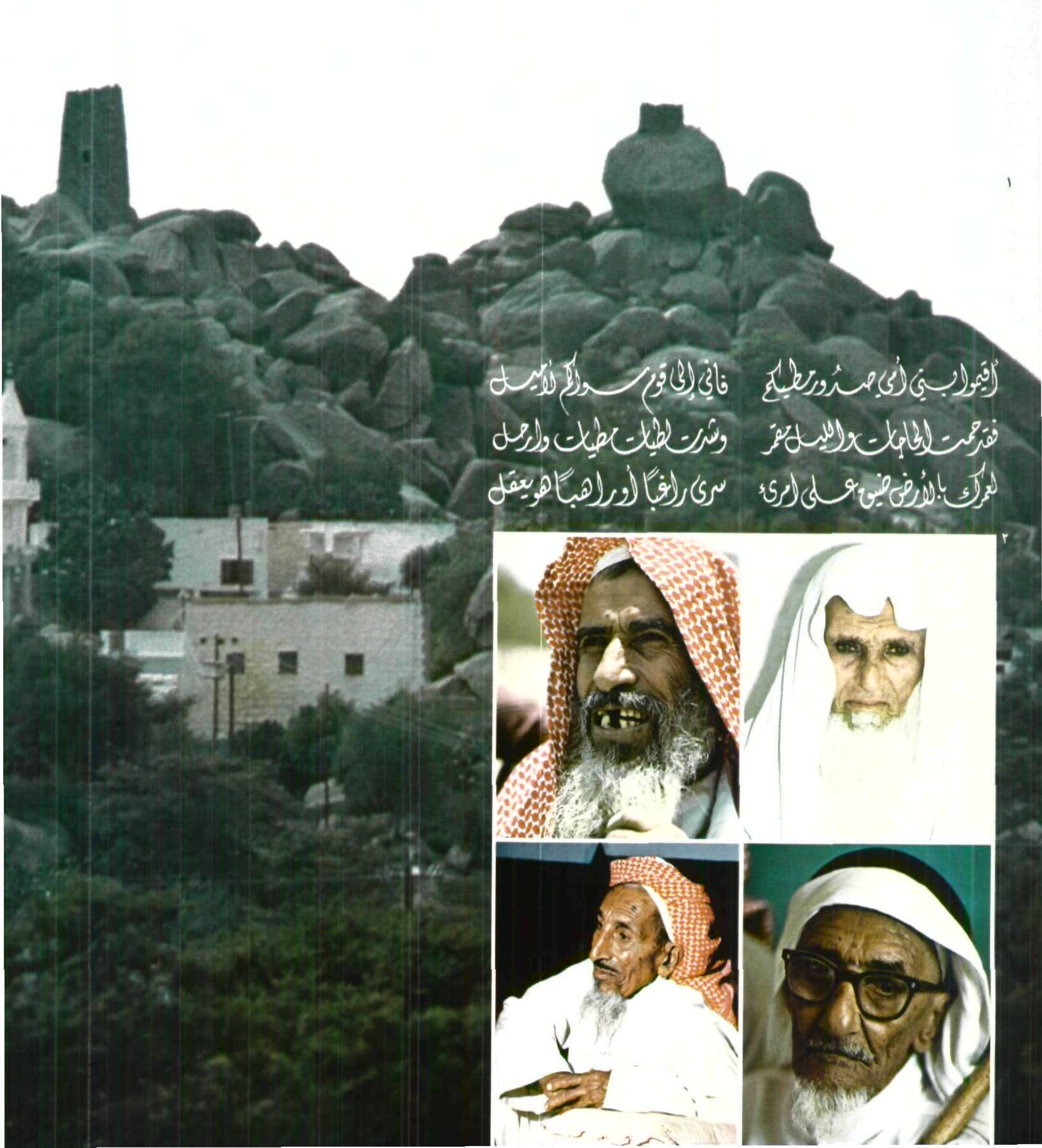
ساهم ويساهم كثيراً في الكتابة بالمجلات المتخصصة وفي موضوعات متعددة .



جولـة القافلة في

# منطقـة الباحـة

(٢)



١ – « الحصون » الحجرية ، صلابة ورمز للماضي بكل ما احتدم في حناياه من أحداث وحزوب بين قبائل المنطقة .

٢ – وجوه عدد من المسنين الذين لا زالوا يحفظون الشعر الشعبي ويعرفون الكثير عن تاريخ المنطقة .

# التراث الشعبي وكتابة التاريخ

هكذا يصرخ الشنفرى ( ثابت بن أوس الأزدي ) في قصيدته اللامية المعروفة في تاريخ شعرنا العربي ، قاطعاً وعورة طرق جبال زهران وغامد ومختبئاً في وديانها وهامات جبالها ، تكسوه السماء وتطعمه الأرض خارجاً من تاريخ رقه الطويل معتمداً على قوته الفردية الهائلة وشجاعته التي لا تحد ، ويتحدى سني ذله مقسماً أنه لينتقم لاستعباده وفي رواية لمقتل أخيه ، وفي رواية لمقتل أبي زوجته وفي رواية لمقتل أبيه على يدي رجل من بني سلامان ، ويضمر لهم ان سيقتل منهم مائة رجل « فكان يترصد الواحد منهم الى أن يمر أمامه فيصوب سهمه ويقول : لطرفك ثم يرميه فيصيب عينه وقد نشأت في معرض ذلك أسطورة خلاصتها أن الشنفري بعد أن يقتل تسعة وتسعين من أعدائه يرصده هؤلاء على بئر ماء فيضبطونه ويقتلونه ، ويرمون جمجمته احتقاراً . وتظل الجمجمة معروضة الى أن يمر بها رجل منهم فيرفسها ازدراء فتنشب برجله شظية عظم تجرحه فيتم عدد القتلى مائة ويبر الشنفري بقسمه ميتاً » .

وفي الحديث عن سيرته يذكر الاصفهاني أن الشنفرى كان يغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فهم ، وكان يغير عليه وحده أكثر ذلك . فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء ، فأعجزهم فأشلوا عليه كلباً يقال له حبيش ، ولم يصنعوا شيئاً . ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس ، برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرداهما ثم خشي الطلب فقال :

**قتيلي فجار أنتما ان قتلتما**
**بجوف دحيس أو تبالة تسمعا**

( وادي دحيس من أشهر أودية زهران ، أما تبالة فبلدة معروفة في بيشه ) ، ومن أطرف الملاحظات حول مضمون هذا البيت الذي يرى الشنفرى من خلاله أن

حادثة القتل هذه ستعرف حتى لو وصل الى تبالة باعتبارها بعيدة جداً في ذلك الزمن عن وادي دحيس .

هكذا تدون كتب التاريخ الأدبي سيرة الشنفرى الزهراني وشعره ، كما تدون سيرة ابن الغامدية « جندب بن جندب » ، وكما تحتفظ بسيرة أبرز الصحابة ممن ينتسبون الى المنطقة في صدر الاسلام ، كأبي هريرة ، وعمرو الطفيل ، والحارث بن وهب ، وسواهم من أعلام التاريخ الاسلامي في عصوره الأولى الزاهية .

كان التاريخ لا يغفل تلك المنطقة في القرون الأولى من الحضارة الاسلامية ، لكنا نراه أغفلها بعد ذلك فنجد فجوة تنوف على الثمانمائة عام وقد غابت سيرتها عن أقلام كتاب التاريخ السياسي والثقافي ، ولا بد أن العزلة قد ضربت أطنابها حول جبال السروات وساعدت على استقرار اللهجة الخاصة لسكان المنطقة.

وهذه مسألة تستدعي البحث والتقصي لعلنا نخرج بفكرة عامة عن حركة المجتمع في هذا الجزء من الوطن يضيء جانباً مهماً من نشاط الانسان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي خلال حقبة طويلة جداً .

## غامد وزهران

يطلق على الأراضي التي يقطنها قبائل غامد وزهران اسم منطقة الباحة حالياً وغامد وزهران تنتسبان الى الأزد بن الغوث ، فقبائل غامد تنتسب لرجل يقال له غامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن نصر بن الأزد بن الغوث ويذكر الكلبي : ان غامد سمي كذلك لأنه وقع بين عشيرته شر فتغمد ذنوبهم وقيل سماه بهذا الاسم قيل من أقيال حمير وينشد بيتاً من الشعر ويقول :

**تلافيت شراً كان بين عشيرتي**
**فأسماني القيل الحضوري غامدا**

أما قبائل زهران فتنتسب الى رجل يدعى زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ، ورغم اختلاف نسب القبيلتين في كتب التاريخ الا أنهما اتفقت على نسبتهما الى شنوءة من الأزد . وهناك الكثير من الاجتهادات المدونة حول أسباب تسمية المنطقة بمسمى قبائل غامد وقبائل زهران ولعلها مناسبة أن نطرح اجتهاداً حول المسمى ويتلخص في أن موقع القبيلتين المتجاورتين جغرافياً يفضي بنا الى ملاحظة ارتفاع منطقة زهران وانخفاض منطقة غامد ، وزهران في

الأستاذ عبدالله حسين الغامدي رئيس تحرير القافلة في يسار الصورة وهو يدير ندوة القافلة مع مجموعة من مثقفي المنطقة حول العديد من شؤون وشجون الحياة هناك . فيما يظهر في الصورة الأستاذ ابراهيم الخسيل ، الأستاذ محمد سعيد البركي ، الشيخ صالح الحمراني ، السيد عثمان ابن حسن ، الأستاذ سعيد المليص ، والأستاذ علي صالح السلوك .



اللغة تعني الوضوح والسطوح والارتفاع وغامد تعني المنخفض أو الأقل بروزاً في التكوين . لذا نرى أن هذه الطبيعة الجغرافية ربما ساهمت في تأكيد هذين المسميين .

## امكانات الواقع والنشاط البشري

اعتمدت المنطقة تاريخياً في حياتها على الزراعة بشكل رئيسي واستطاع الناس التكيف مع الواقع بأن اكتفوا ذاتياً في تلبية احتياجهم الغذائي من موارد أرضهم . ولقد كانت حياة قاسية يعيش الناس أحياناً على الكفاف . وفي ظروف أخرى استطاعوا تصدير فائض انتاجهم من الحبوب كالذرة والحنطة والشعير الى مناطق أخرى كالطائف ومكة والقنفذة وأبها .

وباتساع رقعة الزراعة تشكلت علاقات اجتماعية قوامها مشاركة أفراد الأسرة وقيام المرأة بدور رئيسي في عملية الانتاج ، ونشأت علاقات التعاون المشترك بين أسر القرية الواحدة والقرى المجاورة للقيام بالأعمال الجماعية في توسعة الأراضي واستصلاحها ، وفي حفر الآبار وفي مواسم البذار والحصاد وفي الرعي وزراعة الحقول وبناء البيوت وتسقيفها . كان واقعاً متكاملاً أملته ظروف الحياة القاسية وأكدته مسيرتها مع مرور الزمن وانعكس في الفهم المشترك والتكوين الثقافي للناس وأبرزته الامثال الشعبية ، والحكم القروية ، وتتجلى بوصوح في جملة مضامين الشعر الشعبي سواء ما يطرح في المناسبات العامة كالأفراح والمواسم أو ما تجود به قرائح الشعراء في الظروف الحياتية اليومية .

لقد كانت الأرض هي المحور لكل أسرة في هذه المنطقة ، ولذا نشأت المشاكل العائلية ، ومشاكل الأقرباء ، وتطورت بالطبع كنزاع يقوم بين قرية وأخرى حول حدود كل قرية ومناطق رعيها وحول المياه المشتركة والطرق











والأملاك . هذا العامل الرئيسي شكل وحده مع غياب الوعي الثقافي والاجتماعي أبرز مشاكل القرى فنشبت الحروب والقلاقل بين كل قرية وأخرى واستمرت كعداء تاريخي متوارث . وما نراه الآن من قلاع قوية باقية الا شاهداً على تلك الأيام وتلك الظروف .

تلك حياة خلت . أما اليوم فان المنطقة قد استجابت للظروف الجديدة التي برزت من خلال وجود مصادر رزق جديدة . وانتشار التعليم والاستفادة من كل معطيات الحياة الحديثة . الا أن الجانب الزراعي قد ركد بسبب هجرة الشباب الى المدن . وقد أثرت هذه التغيرات على نوعية العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة وداخل القرية ايجاباً وسلباً . وفي الوقت الذي نرى ارتفاع مداخيل الكثير من الأسر نلحظ انخفاض العلاقات التعاونية الاجتماعية . وتقليص دور المرأة في العمل الزراعي .

## الواقع الثقافي واحتياجاته

تفتقر الحياة الثقافية الى الكثير من المقومات الاساسية الكفيلة بتدعيم النشاط الثقافي . ومن هذه المقومات انشاء نواد أدبية في المنطقة تأخذ على عاتقها مهمة نشر الوعي واقامة الندوات العامة

١ - الشيخ عبد الوهاب المنصوري من أبرز المهتمين بالتراث ويحتفظ بكثير من المكاتبات التي جرت بين والده وعدد من حكام المناطق المجاورة ، اضافة الى العديد من المخطوطات القيمة .

٢ - الشيخ ابراهيم الخيل أحد المهتمين بالآثار وكتابة التاريخ .

٣ - الأستاذ سعد المليص له دور بارز في نشر الوعي الثقافي والتعليمي في المنطقة .

٤ - الشيخ صالح بن عوضه الحمراني نائب رئيس محكمة الباحة من الشخصيات التي تقول كثيراً على المستقبل للارتقاء بوعي الناس وتطورهم نحو الأفضل .

٥ - الأستاذ علي صالح السلوك مؤلف كتاب «المعجم الجغرافي لسراة غامد وزهران» احد المهتمين بتراث المنطقة .

والمحاضرات ودعوة الأدباء من الداخل والخارج للالتقاء بمثقفي المنطقة وجمهورها في ندوات وأمسيات شعريـــة ولقـاءات أدبية .

وحول فكرة النوادي الأدبية كان للقافلة لقاء مع العديد من المثقفين والمهتمين بالشؤون الثقافية ، وعلى رأسهم معالي أمير منطقة الباحة الشيخ ابراهيم بن عبد العزيز بن ابراهيم وقد تحدث معاليه عن جوانب عديدة في شؤون الحياة ومتطلباتها في المنطقة ، وحول موضوع التراث والفنون الشعبية قال : « اننا نعمل جاهدين بالتعاون مع المؤسسات الحكومية في المنطقة وبتشجيع من سمو الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب ، على انشاء نواد رياضية ثقافية اجتماعية في أكثر من مكان في المنطقة بغية المشاركة في رفع المستوى الثقافي والاجتماعي والرياضي لشباب المنطقة ، وان هـــذه الأندية الرياضية والأدبية وجمعيات الثقافة والفنون لا بد أن تساهم في حفظ التراث والفلكلور الشعبي والآثار وفيما يخص الآثار فاننا قد تعاونا مع ادارة الآثار في الرياض لتحديد مواقع الآثار وننتظر بعثة تقوم بالتنقيب عن الآثار في مختلف الأماكن في المنطقة كما واننا نطمح الى تسهيل الامكانات وتوفير المتطلبات لاقامة معسكرات صيفية في المنطقة يمارس الشباب خلالها نشاطاتهم الثقافية والفنية والرياضية خاصة وان المنطقة تتمتع بمناخ صيفي جميل يساعد على ممارسة كل هذه النشاطات المثمرة باذن الله » .

وفي هذا الصدد جمعنا حوار مع الاساتذة : علي صالح السلوك ، ومحمد البركي وسعد المليص وابراهيم الحسيل وعبد الوهاب المنصوري وعثمان بن حاسن والشيخ صالح الحمراني تبدى فيه حماسهم لفكرة النادي حتى ان احد ابناء المنطقة قد وعد بتقديم الدعم المادي للنادي عند قيامه ، بينما أعد بعضهم التصورات الاساسية لنشاطه واسلوب عمله ، ونتيجة لكل المعطيات السابقة فان ابناء المنطقة تواقون الى ايجاد نواد ادبية وأخرى رياضية ثقافية اجتماعية ، والى مكتبات عامة وافتتاح فرع لجمعية الثقافة والفنون للاهتمام بالتراث الشعبي في تلك المنطقة اضافة الى احتياج المنطقة لكليات علمية وأدبية تسهم بالطاقات المتاحة لها في تركيز خريجيها بالمنطقة من جهة وتساهم بشكل فعال في رفع المستوى الثقافي والاجتماعي بالمنطقة لدفع مسيرة التنمية الاجتماعية والثقافية وتكاملها مع التنمية الاقتصادية العامة التي تمر بها البلاد .

وفي لقائنا مع الاستاذ محمد سعيد البركي في مكتبته وهو أحد المهتمين بالتراث والتاريخ والمخطوطات تحدث الينا عن الخلفية التاريخية لعلاقات قبائل الجنوب ببعضها فأوضح أن أكثر القبائل القاطنة في المنطقة الممتدة من صروم في الجنوب الى الطائف تنحدر من الازد وهم من أولاد نصر الملقب بشنوءه وهم غامد وزهران وبالقرن وبني عمرو وشكر والقبائل الأخرى المنحدرة من الازد تشكل أبناء عمومة مثل رجال الحجر وقبائل بني عمر وبني شهر وبالحمر وبالسمر وبارق ورجال المع

من هنا مر « الشنفرى » .

من بطون الأزد وهم أولاد نصر أبناء عمومة من اولاد الغوث .

وشنوءة يطلق على بالحارث وثماله وغامد وزهران وبني عمرو وبلقرن وشكر وهناك تفصيلات عديدة حول هذه الأمور تحفظها كتب التاريخ وانساب قبائل العرب ويتسع الحديث حولها كثيراً .

وقد وجهنا السؤال التالي للسيد البركي : كيف يمكن للباحث كتابة تاريخ المنطقة قبل قيام الدولة السعودية الحديثة ؟ فأجاب :

يمكننا تتبع الخطوط الرئيسية لتاريخ المنطقة بالاعتماد على أكثر من مجال لنصل الى صورة شبه متكاملة لهذا التاريخ وذلك من خلال ما يلي :

* الاستفــادة مــن الكتّاب الذين سجلوا بعض مظاهر الحياة الاقتصادية والجغرافية والتاريخية والاجتماعية والانساب مثل الأستاذ الكبير حمد الجاسر في كتابه « في سراة غامد وزهران في الماضي والحاضر » وحول حديث الأستاذ الجاسر عن الماضي رأيت فيه بعض النواقص ولم يكن تحريه عن بعض الأسماء والأماكن والحوادث كافياً اذ ان على الباحث أن يستقي معلوماته من أكثر من مصدر أو جهة .

* ان امور الحياة المعيشية صرفت الناس عن البحث في أمور التاريخ ، ولكن تاريخ المنطقة موجود عند اهلها ويمكن الاعتماد في هذا على الوثائق التي يحتفظ بها شيوخ القبائل وتحدد صلاتهم بآل سعود ، وآل عايض ، وأشراف مكة ، وبعض بشوات الترك الحاكمين في مكة والطائف وكذلك مع ابن ثنيان في بيشه .

* هناك بيوت عـرفت باحتفاظها بالوثائق والمكاتبات وتدوين الحـوادث والمعاهدات بين قبائل المنطقة وغيرها من القوى الحاكمة في المناطق المجاورة ، منها بيت المجدوع وبيت عبد العزيز محمد الغامدي ، وبيت الحابش ، وبيت



# التراث الشعبي وكتابة التاريخ

الرجال ، يؤدون دورهم في أعمال الحصاد ، والصورة توضح جانباً من مراحل تصفية الحبوب من العلف بعد عملية « الدياس » – الدريس .





# التراث الشعبي وكتابة التاريخ

الحالوق ، وبيت عبد الهادي وآل سويعد وآل بالرقوش وآل موالي وآل خضران امراء دوس وغيرهم . كما ان البعض مما ذكرنا يحتفظون برسائل مكتوبة باللغة التركية منهم الاستاذ عبد الهادي المنصوري .

* يمكننا الرجوع الى بعض المعمرين لاستقاء بعض المعلومات العامة عنهم ، كما ان قصائد الشعر الشعبي بالمنطقة قد تضمنت العديد من المناسبات والحوادث التي تحدد بعض ملامح تاريخ المنطقة في الفترة المعنية .

وحول الأسباب التي لم تتح لأدباء المنطقة في الماضي البروز والمشاركة الايجابية في حركة الثقافة أجاب الأستاذ البركي : لعلنا لا نجد البارزين منهم في مجال الكتابة باللغة العربية الفصحى ، ولكن لظروف عديدة كانت العامية هي اللغة الدارجة للمثقفين وغيرهم وهناك أسماء بارزة أبدعت أشعاراً متميزة بالعامية أمثال جماح بن علي ، الزرقوي ، ابن ثامرة ، حميد بن حسن ، الزبير وغيرهم ، ويمكننا أن نجد المعاني الجزلة والحكم البليغة في اشعارهم. اما اليوم فقد تهيأت الظروف المناسبة للمواطنين في كل مكان وأصبحت امكانية الكتابة باللغة العربية الفصحى متاحة للمثقفين والمتعلمين ولدينا بعض من اهتموا بتاريخ المنطقة وحياتها الاجتماعية والزراعية وتكوينها الجغرافي أمثال الدكتور علي مغرم الذي الف كتاباً جغرافياً علمياً ممتازاً درس فيه جغرافية المنطقة الواقعة بين الطائف وعسير ونال عليها شهادة الدكتوراة .

كما ان الاستاذ علي صالح السلوك ، والدكتور محمد مسفر الزهراني قد ألفا

١ – مخطوطان قيمان في مكتبة الأستاذ المنصوري ومكتبة الأستاذ البركي .

٢ – القرية على هضبة منبسطة ، يناجيهـا القمر المطل من فوق الأسطحة ليداعب أغصان الشجر ، مما دفع بالشاعر الشعبي الى القول :

يا ليت ما بيني وبينك يا المضنه ميتين شده
واسرى ايامـــا معـــده

مؤلفات طيبة تهتم بجوانب متعددة من حياة المنطقة .

كما ان الاستاذ عبدالله الشهري يبحث الآن في تاريخ المنطقة وهو بصدد اعـــداد رسالـــة لنيل الماجستير والدكتوراة عن تاريخ مناطق الجنوب بشكل عام .

ومع كل ذلك الجهد ، فلا زال المجال واسعاً والجهد مطلوباً من المهتمين والمختصين للقيام بالمزيد من الدراسة لتاريخ المنطقة وتراثها الشعبي ونظـــم حياتها الاقتصادية والاجتماعية .

أما في حوارنا مع الأستاذ علي صالح السلوك مؤلف كتاب « المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران » فقد شرح لنا الكاتب فكرة الكتاب وأهميته والمصاعب التي تجشمها في سبيل التحقق مـــن اسماء المواقع وبعدها عن بلدة الباحة والتعرض لحياة اهلها الزراعية والاجتماعية ، وحول موضوع الشعر الشعبي وتدوينه قال : ان الشعر الشعبي الحقيقي الذي يعبر عن تجربة حياتية ناضجة هو الشعر القديم الذي ابدعته مخيلة وأفكار شعراء كبار عركتهم الحياة وتذوقوا معنى الكلمات ودلالاتها البلاغية على السليقة وأهم هذه الأسماء : الزرقوي ، ابن ثامره ، جماح ، الزبير ، ابن عبيدالله ، وغرم الله الأعمى الملقب بالسيارى وغيرهم كثيرون ، اما ما نسمعه اليوم من شعر فهو مجرد تجميع ونقل عن الأقدمين اضافة الى قلة خبرة الشعراء الجدد وعدم جديتهم وانصرافهم الى الاسترزاق من خلال اشعارهم . ثم تطرق الحديث الى العديد من الجوانب المهمة حول التراث بمفهومه العام وحول مسئولية مثقفي المنطقة ازاء تراثهم الشعبي الذي يحفظ تاريخهم

ويختزن في احشائه تجربة الانسان هناك خلال عصور طويلة . فذكر الاستاذ السلوك انه قد قام بجمع كثير من أشعار الأقدمين الشعبية وهو بصدد التأكد من نسبتها لشعرائها . وربطها بالحوادث التي عايشتها . ومن ثم تدوينها في أول كتاب يطبع متضمناً شعر المنطقة الشعبي وهذا دون شك عبء كبير . وقد طرحت فكرة قيام مجموعة من مثقفي المنطقة للقيام بهذا العمل .

## التراث الشعبي

يقول الشاعر هويتمان « الادب الشعبي ينبعث من عمل أجيال عديدة من البشرية . من ضرورات حياتها وعلاقاتها ، من أفراحها وأحزانها ، وأما أساسه العريض فقريب من الأرض التي تشققها الفؤوس وأما شكله النهائي فمن صنع الناس المغمورين المجهولين ، أولئك الذين يعيشون لصق الواقع » .

ويعرف نقاد الأدب التراث الشعبي بأكثر من تعريف فيرى بعضهم ان الأدب الشعبي لأية أمة هو أدب عاميتها التقليدي الشفاهي مجهول المؤلف . وفي تعريف ثان ، يرى آخرون أن الأدب الشعبي هو أدب العامية سواء كان شفاهياً أو مكتوباً أو مطبوعاً ، بينما يرى آخرون أن المضمون هو الذي يحدد ماهية الشعر الشعبي فاذا تركز حول قضايا المجتمع وأساليب تقدمه ورقيه فهو أدب شعبي .

ويعنينا هنا التعريف الثاني لأنه ينطبق على مادة وشكل الشعر الشعبي الذي نعنيه واذا أدركنا ان أبرز سمات الشعر الشعبي الواقعية والرمزية بشكل متداخل ، واستخدام اللهجات المحلية كلغة ، فاننا نود أن نركز على أن الضرورة هي التي ساعدت على نشوء الشعر الشعبي وتحديد ملامح شكله – من حيث اللغة – ومضمونه المرتبط بالحياة اليومية لعامية الناس والغالبية منهم . ولأن هذا النوع ينقل « شفاهياً » فانه يتميز بالسهولة في الحفظ ومشاركة الناس في الاضافة الى نصوصه وتبديل بعض مفرداته فيصبح فناً مشتركاً وذا علاقة وشائجية تربط الشاعر بالمتلقي .

واذا كان هناك الكثيرون ممن يعترضون على فكرة تدوينه وتطويره والاهتمام به كفن له خصوصياته ويوردون ملاحظات تدعي قصوره عن الشعر الفصيح وضيق أفق وثقافة مبدعيه فان العلامة العربي الكبير « ابن خلدون » قد تناول هذه المسألة ودافع عن الشعر الشعبي قائلاً في مقدمته الشهيرة : « والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان ليستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمها اذا أنشد ، ويعتقد ان ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها .

وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ... فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم هذه . فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحة الدلالة واذا طابقت الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة لقوانين النحاة في ذلك » .

## شكل الشعر الشعبي وبنيته الفنية

يبدع الشعراء قصائدهم من واقع الاحتياج الجماعي للشعر ، اذ يلقون قصائدهم على السليقة وفي المناسبة نفسها التي تحرص على قول الشعر . ولعل أبرز المناسبات لمثل هذه الأشعار تتركز في مناسبات الأفراح والأعياد والاحتفالات القروية والقبلية والاجتماعية العامة .

يغلب على أنواع الشعر الشعبي في هذه المنطقة طابع القصيدة ذات الوجهين . فالقصيدة مكونة من قالبين ، القالب الأول يسمى « البدع » والقالب الثاني يسمى « الرد » ونتيجة لهذا التكوين الشكلي فان الوجهين يتكاملان . اذ يطرح الوجه الأول قضية أو موضوعا للحوار أو يسأل عن موضوع ما على شكل أحجية وما شابهها . ويأتي الوجه الآخر مجيباً عن السؤال أو القضية أو الحوار حيث تكتمل القصيدة وتستوفي شروط نموها ومن ثم نضجها كفكرة محددة وقضية ملموسة . ولذلك فان القصيدة التي تفقد أحد وجهيها تظل ناقصة ولا يحفل بها الناس . وهناك شكلان شعريان مميزان عن بعضهما موسيقياً . فنجد الأول في أشعار « العرضة » التي تلتزم بالوزن وتختلف في القافية ضمن وجهها الأول « البدع » ويأتي الوجه الثاني مركباً من مضمون يكمل مضمون الوجه ومن شكل موسيقي مماثل للوجه الأول ومتطابق مع قافية أشطره متخذاً من الجناس نمطاً متميزاً يعتمد الشاعر فيه على مقدرته في توليد المعاني واكتشافها حتى وان اضطر لتغيير بعض الأحرف استجابة للقافية الموازية في الوجه الأول .

أما الشكل الآخر فيتميز بتحرره من وحدة البحر الموسيقية واختلاف قوافيه في وجهيه الأول والثاني . وتعد هذه مزية تاريخية سبقت شعراء الشعر الحديث بمئات السنين ، وتبرز هذه الخصوصية لذلك النوع من شعرنا الشعبي التي استطاع الانسان من خلالها أن يطرح شكل القصيدة النمطي المألوف ويفتتها الى وحدات صغيرة تستجيب لها جس الشعر وزخمه . ويطلق على الشعر الغنائي الذي يؤديه بعض الشعراء وأصحاب القدرات الصوتية القوية في أداء يغلب عليه طابع الحزن والألم ، ويقترب من الأداء الأوبرالي وأداء المقامات في الأغاني

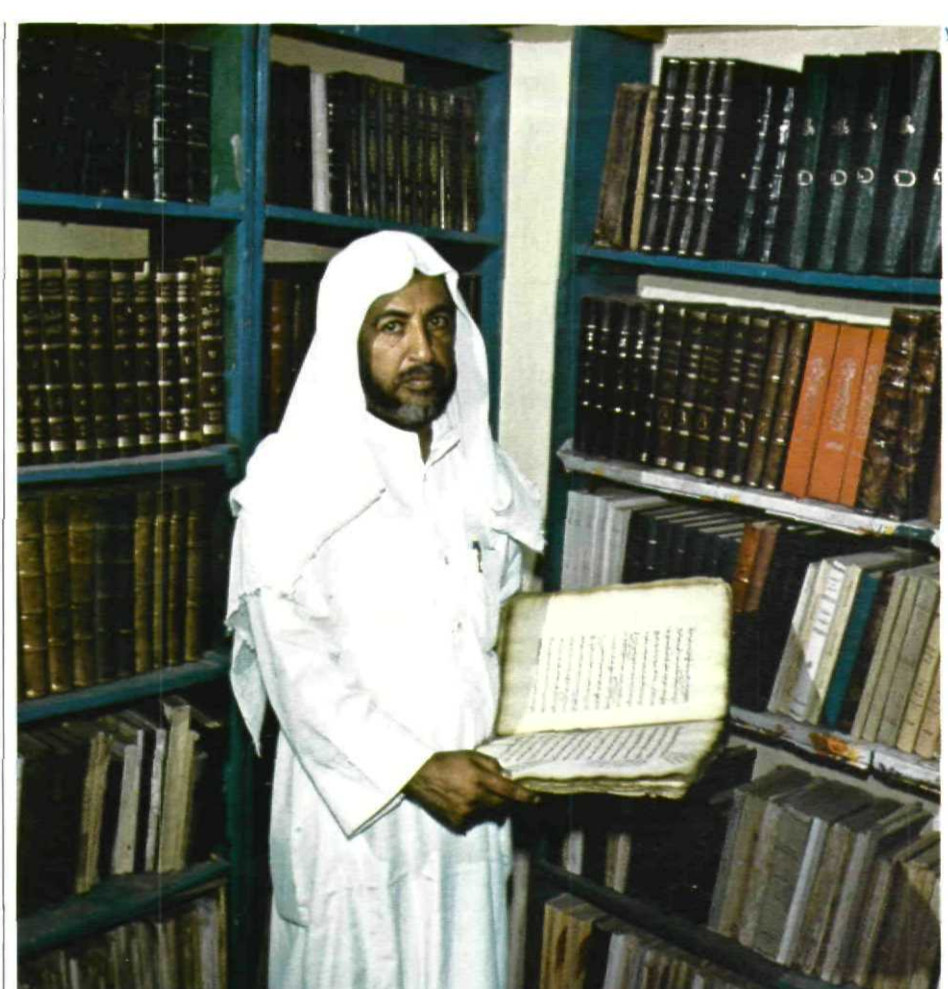
العربية ، يطلق عليه « طرق الجبل » لأنه أبدع خصيصاً ليؤدى بطريقة صوتية خاصة يطلق عليها « طرق » بمعنى ايقاع أو أداء أو غناء الجبل . وسنورد باختصار قصيدتين لتوضيح هذين الشكلين تبين لنا القدرة الفنية الابداعية عند المتميزين من شعراء الشعر الشعبي ، هذا الشعر الذي استخدم الرمز ، وعبر بالصورة والكلمة الشاعرية العذبة عن واقعه وتاريخه وأزماته على مر العصور حتى غدا ثقافة مشتركة يتذوقها الجميع وينفعلون بهـا ويحفظونها مؤكدين على أجمل ما تزخر به من مضامين انسانية حية . وفي قصيدة لشاعر متوفي اشتهر باسم ابن عبيدالله نقرأ كلماته التالية « البدع » .

**يا سلام الله على حبس صليب صل ما ينحـاك**
**حـل في ديره مخيرة كل ليله والمطر ينحاها**
**ريع الما فيك يا وادي وقالوا لـه ( نحا نحا )**



كاتب السطور وهو يحاور الأستاذ البركي .

ومعنى الأبيات العام ، تتركز حول وصف شخص ما وتصفه بأنه كالسد الصخري الذي يقف بصلابة لا حدود لها في وسط الوادي الخصيب . وهذا السد يعمل على تخزين المياه في الوادي كالدور الذي تقوم به السدود ، حتى ترى الماء خلفه وافراً يلفت نظر الناس فيشيرون اليه غبطة وسروراً : نحا نحا أي ذاك هو .. ذاك هو .





١ - الأستاذ محمد سعيد البركي في مكتبته التي تحتفظ بالكثير من المخطوطات النادرة.

٢ - ما زال الناس يحتفظون هناك بالكثير من العادات الحسنة ، لأهالي احدى القرى وهم يفدون الى قرية مجاورة للتهنئة بزواج أحد أبنائها .

أما الرد « فيقوله شخص آخر معني بهذا الوصف الجميل قائلاً :

**والله اني لك على ما يمتني قلبك وما ينحــاك**
**والسوابل قد مضت بيني وبينك سابق ونحاها**
**ما نطاوع كل من بيقول نحا دربك ( نحا نحا )**

ومعناه العام ، تأكيد على المعنى السابق وابراز خصوصية العلاقة الوشيجة بين الطرفين فيؤكد الشاعر هنا على انه سيبقى أميناً للروابط بين الطرفين وانه سيكون كما يتمنى الطرف الأول على كل الأحوال ، ودلالة استمرار هذه العلاقة أتت من سوابل الماء التي تجري بين الطرفين ولا زالت وتلك هي : « نحاها » ثم يختم المقطع بالتركيز على أن الطرفين لن يصغيا لأي مشكك في هذه العلاقة حتى لو قيل ان مسيرتهما انحرفت هنا أو هناك « نحا وربك نحا نحا » .

ولو أخذنا الكلمات التي تحوي الجناس والتي تلعب دور القافية فسنجد في الوجه لأول : « لا ما ينحاك » وتعني : الصلب الذي لا يؤثر فيه بأي وسيلة لتكسيره . أما في الوجه الثاني فان الكلمة المقابلة ما ينحاك : تعني كل ما يود ان يصل اليك برغبة صادقة .

أما نموذج شعر « الجبل » فقد برز فيه شعراء كانت لهم حياتهم الطويلة والمفعمة بالحب والعواطف ويغلب على هذا النحو الطابع الغزلي او الطابع

# التراث الشعبي وكتابة التاريخ



المأسوي ، اذ ان صياغة القصيدة شكليا تستجيب للمعاني الوجدانية القوية التي تزخر بها القصيدة وقد برز الشعراء الزرقوي ، واحمد بن جبران ، وحميد ابن حسن ، وغيرهم في ابداع هذا النمط بالذات .

ومن قصائد الشاعر المرحوم حميد ابن حسن المعروف باسم : « ابـو سحاب » نختار هذه القطعة :

الوجه الأول ــ البدع

**يقول بو سحاب يا برقـا لمعنا**
**حد ليله ليمعاني**
**يا كم لي اتقدوى بنوره واسري ارضا**
**با لعنى ساقي سرى « ربع »**
**وأخاف ياجي الصبح ما وديت اماني**

الوجه الثاني ــ الرد

**يا هيل وما ودي يكن تطرب لمعنى**
**وانت تدري لي معاني**
**ودي يكن تقنع ولا جا اليسر ترضى**
**بي تجي النجده « سراريع »**
**لكن ما تصدق ولا ودي « تماني »**

ونلاحظ توليد المعاني معتمدة على فكرة الجناس فنرى مثلاً في الوجه الأول قافية الشطر الثاني « ليمعاني » أي لمع مستمر يقابلها في الوجه الثاني كلمة « لي معاني » أي أن لي معنى آخر أنت أيها الحبيب « تدركه » وكذلك قافية الشطر الرابع في الوجه الأول سرى « ربع » أي سرى ليلاً ربع جبل ، يقابلها في الوجه الثاني كلمة « سراريع » وتفهم شعبياً : مسرعاً أو بسرعة . .

## انماط الشعر الشعبي

تتميز الأشعار الشعبية في كل مكان بارتباطها العضوي بفنها وغرضها وتأتي متلازمة مع الأشكال المعبرة عن هذا النمط أو ذاك بشكل بارز ، فنجد قصائد قصيرة الأوزان وأخرى طويلة تبعاً لنوع الرقصة أو الفن المصاحب لها . كذلك نجد أنماطاً شعرية أخرى تختلف شكلاً عن بعضها فهناك أغاني سريعة يطغى عليها الطابع الغنائي الذي يردد قافية معينة ليتناسق مع ايقاع الرقصة الشعبية كالمسحباني ، بينما يختلف شكل قصيدة العرضة وشكل قصيدة « اللعب » عن قصيدة « الجبل » ويأتي نمط المجالسية مغايراً أو مستجيباً بطبيعة أدائه الهادىء ، والنمط الأخير هو الذي يسمى « نشيد » ، أو « نشيده » وهو نمط يأخذ الطابع الملحمي في تعبيره عن حوادث كثيرة وقضايا عديدة ، ويأخذ شكل القصيدة العربية أو الموشحات الأندلسية . وشعراؤه قلة كان أبرزهم الزرقوي ، وعلي جماح ، وابن ثامره . ونختار نموذجاً من « نشيد » مطول للشاعر علي جماح يصف فيه جانباً من معركة نشبت بين قريتين متجاورتين وكان يقف شخصياً ضد هذا الاقتتال ولكن كان لا بد مما ليس منه بد .

**زعنا وزاعــــو وردينـــا وردوا**
**وبنوا محاجي وهــدينــا وهـــدوا**
**وعــن المواقيف عدينا وعـــدوا**
**مـــا « قـــرّ » حـــــدان**
**حتى حصى الربع صافت عن مبانيها**
**في قــدر ساعة تقاسمنا الخسارة**
**ذقنا وذاقــوا ورى الحلوه مراره**
**والله يقطعك يا بعض التجــارة**
**تبـــــنى بخســـران**
**والفتنة الله يقطع مــن يماديها**
**يا غامد النقص في ميعان واحـــد**
**تشهد علينا الفتن من غير شاهد**
**ضحك العشائر بنا ما نا بجاحد**
**خثعــــــم وزهـــــــران**
**« وحن » صدرنا تقاسمنا الندامـــة**
**كل يقـــل : والمعونة والسلامـــة**
**هـــذاك يوم من أهوال القيامة**
**وكـــــــل ديــــــــان**
**يخلص ديونه ولو طالب مهاليها**

أما النموذج الثاني وما يمكن اطلاق المجالسية عليه فللشاعر جمعان الزهراني شعر مكون من وجهين :

الوجه الأول : البـــدع

**يقول جمعان زعت المعرفة والحن أشغاب**
**يا صاحبي ما تجوز المحقرة بيننا بين**
**وآنا توحي لصوتك يا حبيبي وحيـات**
**بانصحك لا تاجي الديره الذي ما تمنها**

الوجه الثاني : الـــرد

**يا سروى لا تديح تهمنا والخنش غاب**
**أخاف من دابها يلزمك ما بين « نابين »**
**ديار فيها سباع تتعاوى و« حيات »**
**ما باقدر أعد وأحصي كل من «مات منها»**

طابع البساطة والاقتراب الحميم بين كل بيت وآخر حتى تكـــاد أن تشترك البيوت جميعـاً في أزقتهـــا وساحاتهـــا العامة والخاصة : تلك ملامح القرى البسيطة بما تحمله من دلالات اجتماعية عميقة .



أودية خضر تشهد للانسان بالعمل الدؤوب .

# التراث الشعبي وكتابة التاريخ

ورغم صعوبة شرح كل المفردات الا ان المعنى العام أكثر وضوحاً في هذه القصيدة للقارىء في أي منطقة منه في قصائد شعراء آخرين ويعود السبب في ذلك الى ان الشاعر جمعان شاعر معاصر بينما الشعراء الآخرون يمثلون جيل المائة عام الماضية فتتضح خصوصية المفردات وانغلاقها على فهم غير أهلها رغم اختزانها لمعان جميلة وتجارب عظيمة وتزخر بصياغات مركزة وصور شعرية رائعة نورد عليها مثلاً هذا الجانب من قصيدة للشاعر المرحوم محمد بن ثامره : وفيها يصف حالة القائد التركي النفسية بعد هزيمة جيشه في غامد وزهران قائلا :

حزن الباشة الباشا على العسكر بغا يغدى به الجزام
ودعى حيدر وبونابين واستلحق علـي العبشاني
قال وين اثنا عشر طابـور ما جاني ولا بشر
علموني عن رجل زهران هو مثل الجبل والا اكبر
بالرقوش ان كان معهم يا موصف بالله أوصفه
قال راسه غار وعيونه شرار وقامته في كبرك
وعساكره والجنود اللى معه ناس كـما نحـن
قـال لا عـادوا كنا كم وولد راشد رشيد مثلي
اعلموا بالصدق يا زلـق اللحى كيف يغلبونكـم
وانا عنتوكم بصبح الخيل ومدافع ومـرت ومرت
والمراكب فوق موج البحر مليانـة جنابـخ
قال : يا سلطان : بابورين يا الله تقتل الزهراني
كل واحد راسه أقسى ما الحجر والقلب « مرو » خالص
وايديهم ما الحديد والقلب مـن الصـوان
واخـر المعنى البنادق والمعابر مـا تجيبهم

وهذه القصيدة وغيرها مدونة في كتاب الأستاذ قينان جمعان الزهراني « زهران » ولا شك ان لهؤلاء الشعراء أشعاراً كثيرة متناثرة هنا وهناك وتقع على المهتمين مهمة جمعها وتدوينها وشرحها قبل أن تنسى وتذهب في طيات السنين .

أما في الحاضر فان هناك العديد من شعراء الشعر الشعبي المعاصرين يحفظ لهم هذا الجيل معظم أشعارهم لأنها تسجل في المناسبات ويمكن الحصول عليها بأكثر من طريقة ومن ابرز الأسماء : الشاعر الأعمى من قذانه ، والشاعر محمد الغامدي الملقب بـ « الغريد » والشاعر محمد بن مصلح الزهراني ، والشاعر خرصان من رغدان وغيرهم ممن لا أحفظ أسماءهم من مناطق عديدة في أرجاء المنطقة .

لا شك ان النشاط الابداعي والثقافي يأتي في مقدمة احتياجات الانسان . واستجابة لما تشهده بلادنا من تطور اقتصادي في كل مكان فان الحاجة ماسة لتوفير احتياجات الناس والمشاركة في الارتقاء بوعيهم الاجتماعي الى مرتبة تتوازن عندها المعطيات المادية والروحية ليساهم الجميع في ايجاد مجتمع واعٍ ومناخ ثقافي وفكري سليم .

ومنطقة الباحة كغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية تحتاج الى جهود أكبر ودعم اقوى لدفع الحركة الثقافية بها وتطويرها . وهي تشحذ همم أبنائها الى الاهتمام بتراثهم . وكل ذلك لا يأتي الا من خلال تشخيص الواقع الثقافي وتحديد الاحتياجات العملية ومن ثم العمل على تسيير النشاط المطلوب والذي لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار مسألة تسجيل الفنون الشعبية والشعر الشعبي واقامة النوادي الثقافية في أكثر من مكان ومحاولة البحث عن الآثار والمخطوطات ولربط تاريخ المنطقة الثقافي والسياسي بغيرها من مناطقنا خلال الحقب الماضية حتى تكتمل الصورة لتاريخ بلادنا العزيزة في الماضي والحاضر □

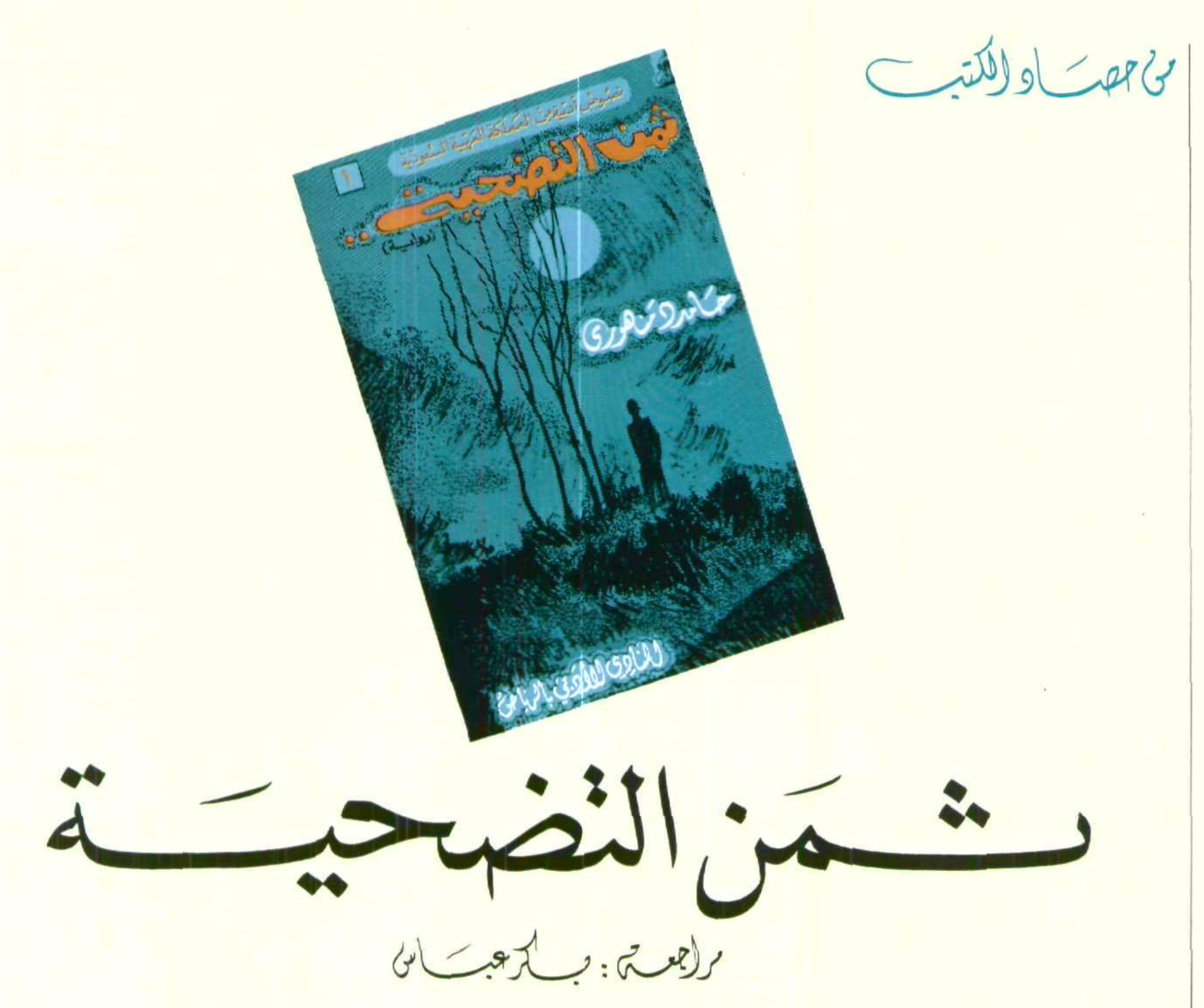
علي الدميني - هيئة التحرير

تصوير : شيخ أمين





الأرض ، مصدر معيشة الانسان واعتزازه ، استلهم الشعراء من خضرتها وجبالها مفردات شعرهم الرمزية الغنية بالصور الواقعية




# ثمن التضحية

مراجعة : بكر عباس

لا أدري كم مرة قرأت أو سمعت أن « ثمن التضحية » تشبه في تاريخ الأدب السعودي الحديث رواية « زينب » في الأدب المصري . وهذا قول لا غبار عليه اذا لم يتجاوز في دلالته المنزلة التاريخية لكل منهما في أدب البلد الذي ظهرت فيه . اما ان نتخذ من « الاولية » منطلقاً للتقييم استكثاراً لما في العمل من خصائص واعتذارا عما فيه من مآخذ بسبب « حداثته » فذلك مغالطة للواقع ورفق في غير موضعه . فبين رواية هيكل وبين رواية الدمنهوري قرابة نصف قرن ، ظهر فيه الكثير من الأعمال الأدبية الجيدة في مختلف البلاد العربية ، وبخاصة في مجال القصة . والأدب العربي مهما اختلفت بيئاته وأقطاره ينظر اليه في النهاية ككل ، لأن هناك ثقافة عربية واحدة لا ثقافات متعددة بتعدد الاقطار العربية . ولذلك فان اي عمل أدبي لا بد أن يقوّم آخر الأمر في اطار كلي متكامل ، حيث لا تظل الحداثة شفيعاً مقبولاً ، ولذلك لا أفهم أن يكون لكل فن من فنون الأدب رائد في كل بلد عربي ، فهذا لا يزيد – في نظري – عن كونه تواريا وراء الحداثة ومبرراً واهياً لاعتزاز خادع . وقد سئمنا من الاعتذار بالحداثة عن كل تقصير نشكو منه في كل ناحية من نواحي حياتنا أو أعمالنا .

قد تكون هذه الدولة أو تلك حديثة العهد . ولها ان تتذرع بالحداثة حيث يكون الزمن عاملاً كبيراً . أما في المعرفة والأدب فالاعتذار بالحداثة غير مقبول ، لأن التحصيل الثقافي ليس شيئاً يورث ويتراكم على مر الزمن ، وانما هو مجهود فردي . والمعين الثقافي ، العربي منه والعالمي ، متوفر لكل وارد . فما الذي يمنع أن يظهر في أي بلد عربي شاعر او كاتب او قاص يبرز في هذا الفن او ذاك وان لم يسبق ظهور مثله في ذلك البلد ؟ وأنا لا أغفل العوامل الذاتية في العمل الفني ، ولا أعني استعارة القوالب الجاهزة . وانما اعني انه ليس على كل كاتب قصة انكليزي أو امريكي أن يبدأ حيث بدأ « رتشردسن » و « فيلدنغ » او « ملفيل » و « هوثورن » ، كما انه لا يجوز لكل قاص او شاعر عربي حديث أن يبدأ حيث بدأ هيكل أو شوقي .

وأنا أطلق هذا القول على التعميم . غير ناظر الى

كاتب معين أو ناقد بعينه . وقد أثارني اليه كثرة ما أقرأ من أمثال هذه الاعتذرات في شتى الأحوال ، وكثرة ما اسمع من صفات وألقاب لا دلالة لها ولا قيمة . وانني اذ أنفي « الريادة » عن حامد دمنهوري لا أسلبه فضلاً ، فالريادة في العمل الفني ليست وحدها وفي حد ذاتها فضلا ، وقد تكون مجرد نقطة باهتة في مجرى التاريخ . فمأساة « غوربودك » التي يؤرخ بها للتمثيلية الانكليزية قبل شكسبير تتحدى صبر طلاب الأدب الانكليزي ، ومثلها من الكتب « الرائدة » كثير ، لا استثني من ذلك الى حد ما رواية « زينب » . أما ثمن التضحية فليست من هذا القبيل . ومع التسليم بأنها أول قصة من نوعها تظهر في المملكة العربية السعودية ، يحق لنا أن نتساءل كم قصة ظهرت بعدها في مستواها ؟

لقد كتب عن « ثمن التضحية » الكثير ، ولعل أفضل ما قرأته عنها هو مقدمة الدكتور منصور الحازمي للطبعة الثانية ، فقد تناولها بالتحليل المتأني الدقيق ، مبرزاً خصائصها وميزاتها في عمق الناقد الحصيف ، ولم يفته أن يلمح الى بعض نواحي الضعف فيها . ولا يقلل من قيمة نقده مخالفتي اياه في نظرة او حكم . وقد وقع الأستاذ عبدالله عبد الجبار على بعض خصائص الرواية في مقدمته للطبعة الأولى ، ولكنه حملها ما ليس فيها ، وتمنى لو أن المؤلف ضمن روايته أشياء معينة ، ولعل أفضل ما فيها انها لم تتضمن ما تمناه ، لأنها كانت ستنتهي الى الافتعال والميلودرامية . غير ان ذلك يشير الى رغبته في تنشيط الحركة وتكثيف الصراع لتقوية عنصر التشويق في الرواية وزيادة تفاعل القارىء معها . وهو ما عده الدكتور الحازمي من جوانب الضعف فيها : « ومن هذا الضعف بساطة الحادثة وبطء الحركة وضعف عنصر التشويق » .

ومن اخطر مزالق النقد أن نبحث في العمل الأدبي عن أشياء ليست فيه ولا يدعيها . فموضوع « ثمن التضحية » ليس عاطفياً ، وان كان فيها بطل — أي شخصية رئيسية — يخطب ابنة عمه ويوشك ان يقع في حب أخرى ، فهذا هو الخيط الذي يشد أجزاءها لتكون هنالك قصة . وليس موضوعها الزواج ، أو المفاضلة بين المواطنة والاجنبية — لم تتطرق الى شيء من ذلك من قريب أو بعيد — وان كان موضوع الزواج يشغل حيزاً كبيراً منها ، وليس فيها ما يوحي بأن الكاتب أراد أن يعالج مشكلة تعليم البنات وان ألمح اليها في اكثر من موضع . . واذا اخذناها من هذه الزاوية ، وافترضنا أن هذه موضوعاتها الرئيسية ، فلا بد أن نحكم عليها بالتفاهه والتردد والسطحية ، لانها لا تعالج اياً منها علاجاً جريئاً او مرضياً ، ولن ينقذها عندئذ انها تصور البيئة الحجازية تصويراً حيا في فترة « انبثاق الوعي وبدء ظهور الطبقة المتوسطة المتعلمة المثقفة » . فما هو موضوعها اذن ؟

ان ثمن التضحية قصة بسيطة التركيب غائية المنحى ، ولكنها تنساب في يسر وهدوء فلا يملها القارىء رغم بساطة حوادثها . وقد حرص الكاتب على الابتعاد عن الخطابة والتعليم حرصاً جعل غائيتها دقيقة معماة . ومن هنا كانت قوتها وضعفها في آن . ومن هنا أيضاً كان سهلاً ان ينزلق القارىء في مسارب البحث عن مشكلات كبيرة يريد لها حلاً فلا يجده فيها .

ولعل أول ما يصدم القارىء هو « غيبة » الصراع من القصة . انه يحس انه قرأ قصة متماسكة جيدة النسج رغم بساطة حبكتها ، ولكن شيئاً ما ينقصها . واذا استثنينا مرض البطل « أحمد » قبل ابتعاثه — وهي حادثة لا تقدم في الحبكة ولا ضرورة فنية او غير فنية لها — وميله الى « فايزة » بعد خطبته ابنة عمه « فاطمة » ، واذا استثنينا موت الشيخ عبد الرحيم ابي فاطمة بالسكتة القلبية ، فان القصة خالية من المآزق والمواقف الدرامية التي تكسب القصة نشاطاً في الحركة وقوة في التشويق . فالكاتب تجنب ذلك كله عامداً ، وتجنب الى جانب ذلك عامداً واعياً كل عناصر الصراع ، لأنه يخشى على غايته أن تتبدد في كثافة الصراع الذي كان يمكن أن يكسب الرواية مزيداً من الحيوية والاندفاع . لقد اختط لروايته منهجاً واضحاً لا يريد ان يصرفه عنه أي اعتبار يقتضيه الفن القصصي البحت .

لقد وجد بلاده تمر في مرحلة من التطور الهادىء المحتوم ، وطبيعي أن ينظر المجتمع الى هذا التطور وما يقتضيه من تغيير في أنماط الحياة وتقاليدها نظرة تخوف وحذر . ولذلك فانه يسرع الى طمأنة مجتمعه الى ان هذا التطور شيء تقتضيه سنة الحياة وضروراتها ، وانه وان كان تغيراً وخروجاً على أشياء متوارثة فانه ليس خروجاً على قواعد أساسية ، او تمرداً على أشياء جذرية ، وانما هو تغيير الى الأفضل لأنه من مقتضيات العلم والمعرفة لسد حاجات اجتماعية طارئة أو غير طارئة . فالتاجر الذي ورث التجارة عن آبائه قد يعز عليه أن ينقطع سبب التجارة في أسرته ، ولكن متى كان خيراً للانسان أن يكون تاجراً من أن يكون طبيباً . ان التجارة التي يمارسونها لا تحتاج الا الى « الذكاء والامانة » ولن يعدم المجتمع تجاراً أذكياء أمناء ، ولكنه سيكسب الى

جانب ذلك أطباء ومحامين ومحاسبين ومديرين يبنون في البلد بناء قوياً متيناً ، ويسدون حاجات لم تكن من قبل ضرورية . وماذا عن الابناء او الجيل الصاعد ؟ لا داعي لان يثيروا مخاوف آبائهم من التطور والتغيير ، ولا داعي الى التجاذب والصراع بين الجيلين . . . لا داعي الى ثورة على الماضي من أجل المستقبل . فثمة طريق وسط .

وهكذا – كما يقول الدكتور الحازمي – فان « الاسرة الحجازية . . يرتبط أفرادها برباط الحب والتضامن والوفاء . . ( رغم ) تفاوت في العقلية وتباين في المدارك والأحاسيس ( ونجد أن ) الجيل الماضي . . حرم التعليم ولكنه لم يحرم طيبة القلب ونبل المشاعر » . ومن هنا سدت السبل على الصراع بين أفراد الاسرة . فالآباء ، في طيبتهم ، مستعدون لتقبل منطق الواقع ، والأبناء يقدرون واجبهم ومسؤولياتهم ، ويعرفون الطريق الى عقول آبائهم وقلوبهم . حتى الشيخ سالم الذي يؤلمه أن ترتفع ايجارات الدكاكين حيث يستأجر دكانه ، ويسره أن ترتفع ايجارات المنازل حيث يؤجر منازله ، والذي « يحرم نفسه ملاذ الحياة ومتعها ويضع القرش فوق أخيه ، ويجمع الريال على الآخر ، ثم يبني بما يجمعه منازل ودكاكين ، ويشتري قراريط وخرائب . . » أقول ، هذا الشيخ سالم ليس بالشخص البغيض في القصة ، كما يكون الجشع في قصص أخرى ، وقد يكون مادة للدغدغة والتندر أكثر منه للزراية والاحتقار .

ومن هنا فان « أحمد » لم يجد صعوبة في اقناع والديه بمواصلة دراسته . . يكفي أن يقول ان لداتـــه سيواصلون دراستهم ، وان عثمان البنّاء الفقير قد سمح لابنه بمتابعة دراسته رغم شدة حاجته . أما التفاهم القائم بين أبيه وعمه حول زواجه من ابنة الثاني – التي يحبها – فيمكن الوفاء به بعقد القران في الحال وتأجيل الزواج الى ما بعد تخرجه ، خاصة وان الفتاة في الرابعة عشرة . ولم يفته بطبيعة الحال أن يؤكد لوالده انه رهن اشارته . وهكذا يسافر الى القاهرة برضى الجميع ومباركتهم .

وفي القاهرة يجد الطلاب الاربعة انفسهم في مجتمع يختلف عن مجتمعهم في عاداته وتقاليده وقيمه ، ولعل هذا الواقع من نقاط تخوف الآباء من ارسال ابنائهم الى الخارج . وهنا يسرع المؤلف الى بعث الطمأنينة في نفوسهم ، فالغرس الطيب الذي غرسوه لا ينبت الا طيباً . فأبناؤهم محصنون ضد كل خبث بفضل وعيهم لرسالاتهم ومسئولياتهم ، واصرارهم على الانصراف الى غاياتهم وأهدافهم . ولذلك فانهم يتكيفون مع الحياة الجديدة تكيفاً لا يمس جوهرهم ولا يصرفهم عن خطتهم . حتى « ابراهيم » الذي يقبل على الحياة وينبهر بها ، لا يلبث ان يرجع الى الطريق السوي عندما يفتح زملاؤه عينيه ، ويهوله ان يكون الخائب الوحيد بينهم ، ثم انهم يضعون بحزمهم حداً لرغبته في الاسراف والتظاهر ، وبذلك يجنبونه الوقوع في المشكلات وما يتبعها من صراع .

وماذا عن الجنس والغوايات ، وهي نقطة التخوف الكبرى في نفوس الآباء ؟ لقد صرف المؤلف هذا المنزلق عنهم فلم يتعرضوا للمغويات من أي نوع ، او قل لم يلتفتوا اليها لانصرافهم الى غاية أسمى ، فليس ثمة أي ذكر لها .

غير أن « أحمد » من بينهم « تعرض » للحب . كان يبحث في رومنطيقية ساذجة عن شبه « فاطمة » في القاهرة ، فلم يجد الا اعضاء منها متناثرة في فتيات كثيرات مضى يركبها منهن . واخيراً وجد نسخة اخرى منها شكلاً ، وفي مثل سنها ، الا انها طالبة في المدرسة المتوسطة تحب الأدب والفن ، ويطيب لها الحديث فيهما . فمال اليها معجباً باطلاعها وثقافتها العامة . وأصبح يهتم بالادب والشعر والموسيقى ، وأخذ يدقق في اختيار ألوان ملابسه وأنواع ربطات عنقه . ولكن المؤلف لا يلبث ان يطمئننا بأن « أشد ما كان يبهجه اعتقاده بأن « فايزة » ما هي الا « فاطمة » أو هي الصورة الثانية لفاطمة ، تلك المخلوقة الصغيرة ، ساكنة مكة وراء نافذتها المغلقة » . فما أن تبين طبيعة احساسه وعواطفه ، ووجد نفسه بين « قوة تجذبه الى الماضي وقوة تجذبه الى المستقبل » حتى حزم أمره « وسد الباب الذي تأتيه منه الريح » ، فقرر الانقطاع عن زيارة صديقه « مصطفى » – أخي « فايزة » – وابتعد عن كل امكانات اللقاء بها ، متحملا القلق العاطفي الذي احدثه هذا القرار . لم يتوقف للمفاضلة بينهما ولم يمنح نفسه فرصة الاختيار . ولو لم يتدخل المؤلف لحماية بطله لكانت مثاليته الرومانطيقية دافعا كافياً للوفاء بعهده لابنة عمه بغض النظر عما يتحمله في ذلك من ألم ، ثم ان الرومنطيقي لا يقر الاختيار العقلاني القائم على المفاضلة الواعية لانه يفضل البساطة الطبيعية ويكتفي بالهالة الروحانية التي يقيمهـــا حول من يحب . غير أن المؤلف يصر على أن يجعل من هذا الحب نزوة عابرة قد تترك ندبات سطحية ولكنها لا تبلغ حد الجرح العميق . فهو لم يكتف ببتره على هذا النحو ، بل لجأ الى مفارقة باهتة عندما جعل عصاماً وابراهيم

يطلبان الى أحمد في سذاجة بالغة أن يخطب لاحدهما فايزة من أخيها — احدهما لم يرها والاخر رآها بصورة عابرة قبل سنتين — فيذهب احمد لزيارة صديقه ويستفسر عرضاً عنها ، فيعلم أنه تقدم لها طبيب آخر اسمه أيضاً « أحمد » ، وهي محتارة بين الزواج ومواصلة الدراسة . وواضح أن المؤلف يقصد بذلك استثارة تعاطف القارىء مع بطله واعطاء ذلك البطل فرصة اخرى لاجترار آلامه فيما بينه وبين نفسه . لكنه مرة اخرى يصرف الصراع صرفاً : « ماذا كان يحدث لو أن سبيل عصام الى فايزة لم تسد بهذه الطريقة الباته ؟ » ويزيد مجتمعه اطمئناناً الى مصير أبنائه في الخارج بأن يؤكد له ان البنات اللواتي يلقونهن في الجامعة لسن صائدات رجال ، وانما بنات طيبات من أسر محافظة على قيمها ، وان تعليمهن لا يؤدي الى تحلل اخلاقي او تفكك في روابط الأسرة . ألم يعد ابراهيم باحداهن ويسعد بها ؟

ومن مظاهر صرف الصراع في القصة تجنب الخوض في مشكلة تعليم البنات ، فكل رأي يبدى فيها سلباً أو ايجاباً يقابل بالصمت . لقد كان لتعليم البنات حتى وقت كتابة القصة كثير من المعارضين . ولذلك فان المؤلف يهمه ألا يثير مخاوف قطاع كبير من الناس من التطور الذي يبشر به ويطمئنهم اليه ، فلا ينقضوا عليه ويقفوا في وجهه فيعوقوه ، مكتفياً بالاشارة العابرة الى ضرورة تعليمهن وبالمثل الذي اقامه من فايزة ، تاركاً للزمن أن يفعل فعله .

ان كل واحد من هذه المواقف كان يمكن أن يوجه وجهة أخرى فتأتي القصة على نحو آخر . لقد أراد ان يكتب قصة « نظيفة » بسيطة الهندسة والتصميم ، يصور فيها فجر النهضة في بلاده وقد بزغ هادئاً مبهجاً دون ثورة أو صراع كما حدث ويحدث في أماكن اخرى ، وان يلقي بها موعظة دون أن يصعد المنبر ، وهو في نزعته الرومنطيقية ورغبته في تمويه غائيته يحاول أن يوهمنا بأن التضحية التي تدور حولها قصته هي تضحية أحمد بحبه لفايزة ، وان « الثمن » ( المقبوض لا المدفوع ) هو فاطمة . غير أن ما تقوله الرواية في الواقع هو أن هذا التحول الى الأفضل يقتضي التضحيات من المجتمع وان الثمن هو ما يصير اليه الابناء. فوالدا احمد — كوالدي ابراهيم وعصام وحسين — ضحيا بقبولهما التحول وتنازلهما عن مفاهيمهما الموروثة وآمالهما القريبة في ابنهما ، وفاطمة ضحت بانتظارها احمد سبع سنين وكان الثمن زوجاً وفياً مرموقاً ، وأحمد — مثل رفقائه الثلاثة — ضحى بعاجل الكسب والاستقرار وبكل المغريات ، وكان الثمن زوجة جميلة صالحة ومركزاً ممتازاً ومكانة اجتماعية رفيعة . فالطالب الذي يواصل دراسته الجامعية ليس كسباً لنفسه وحسب ، وانما هو كسب أيضاً لوالديه وزوجه وأبنائه وسائر مجتمعه .

وقد ادرك المؤلف أن خطته هذه تؤدي الى تبسيط شديد في المعطيات والنتائج ، وتفقد القصة الكثير من الاثارة ، فحاول التعويض بثلاث وسائل .

أولاً ، تغليفه الرواية بغلالة رومنطيقية رقيقة . ولعل المفارقة الكبرى فيها هي محاولته نقل صورة واقعية على حاملات رومنطيقية وبذرائع رومنطيقية ، ولا يتسع المجال هنا لتتبع الأبعاد الرومنطيقية بصورة عامة ، وهو أمر يستطيع أن يتبينه القارىء بسهولة . واكتفي بالقول ان البطل نفسه رومنطيقي عاطفي سريع التجاوب مع المؤثرات الخارجية ، حتى انه أقرب الى المراهقة منه الى النضج ، وفاطمة لا تشذ عن نموذج الفتاة في الرومنطيقية بل انها تقترب من الفتاة في أدب الرعاة . ومن ثم استعاض عن الصراع الخارجي بالانفعال الداخلي في نفسيهما معبراً عنه بالمناجاة الذاتية واعتصار الألم .

أما الثانية فهي استعارته من « دكان » الميلودرامية حوادث من فعل القدر لاجتلاب التعاطف والاثارة . لقد مرض أحمد من الارهاق فجأة قبل ابتعاثه ولزم الفراش طويلاً فملأ نفوس أهله توجساً وقلقاً . وتوفي الشيخ عبد الرحيم فجأة أيضاً ، فكاد موته يعصف بالهدوء الذي ساد القصة وتوقفت الحياة بأبي أحمد وبفاطمة وأمها . ومع أن المؤلف يسارع الى تبديد الأثر الذي كان يمكن أن يحدثه اي من الحادثين لتعود الحياة الى مجراها الطبيعي المعتاد ، فانه لم يكن لايهما ضرورة تقتضيها القصة . وكل ما احدثاه ، فضلا عن الانعطاف آنياً باهتمام القارىء ، هو توقف القصة ومن ثم اطالتها وتأجيل النهاية .

وأما الثالثة فهي افتنانه في تصوير البيئة التي تعيش فيها شخصيات الرواية وملء تلك الصورة بالحيوية والحركة . لقد حرص على تجنيب شخصياته كل مواطن الصراع ومظاهره ، وأقام من نفسه ملاكاً حارساً لها ، فأفقدها بذلك غير قليل من الحيوية . وأصبحت — باستثناء ابراهيم — أقرب الى النماذج منها الى الشخصيات الواقعية الحية . غير ان ما دفعه من واقعية وحركة في تصويره لبيئتها غطى على جمودها وأكسبها حركة مموهه ليست لها . وستظل هذه الناحية من أبرز الخصائص الفنية للرواية □

بكر عباس — الظهران

# أخبار الكتب

* مجلتان أدبيتان صدرتا أخيراً ، هما مجلة « عالم الكتب » وقد أسسها في الطائف الاستاذان عبد العزيز الرفاعي وعبد الرحمن المعمر ويرأس تحريرها الأستاذ يحيى محمود الساعاتي ، وهي مجلة تعنى بالكتب وأخبارها وقوائمها ونقدها وعرضها ، وأما المجلة الثانية فتصدر في القاهرة بعنوان « الثقافة الجديدة » ويحررها الدكتور عبد الحميد يونس وتعنى بالأدب بوجه عام والأدب الشعبي بوجه خاص .

* ومن كتب التراجم التي صدرت أخيراً : « سهل بن هارون الكاتب المتوفى سنة ٢١٥ هـ » وهو من تأليف الدكتور منجي الكعبي ونشر تونس ، و « ابن كثير » من تأليف الدكتور مسعود الرحمن خان الندوي وطبع عليكرة ، و « شعر بدر شاكر السياب » وهو دراسة للشاعر وشعره بقلم الأستاذ حسن توفيق ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، و « أحمد ملال : شاعر الحكمة والملحمة » من تأليف الأستاذ محمد المرزوقي ونشر وزارة الاعلام التونسية .

* اصدر الأديب الناقد الأستاذ يوسف الشاروني كتاباً عنوانه « الروائيون الثلاثة » تناول فيه بالدراسة والتحليل نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبدالله ويوسف السباعي وصدر الكتاب عن الهيئة المصرية .

* نشر الدكتور منجي الكعبي « كتاب النمر والثعلب » من تأليف سهل بن هارون بعد تحقيقه تحقيقاً علمياً . وقد صدر في تونس .

* طبعة ثانية من الرواية الكبيرة التي أصدرها القاص السعودي الراحل حامد دمنهوري وعنوانها « ثمن التضحية » ، صدرت أخيراً عن النادي الأدبي في الرياض .

* « ذكريات مدرس » كتاب يجمع بين الفائدة والطرافة سجل فيه الأستاذ عبد الرحمن بكر الصباغ تجاربه في التدريس ، ونشرته المكتبة الصغيرة ، بالرياض .

* أصدر الأستاذ عمر رضا كحالة كتاباً جديداً عنوانه : « العرب : من هم وما قيل عنهم » وقد طبعته وزارة الثقافة في بغداد .

* « ومضات في ديوان العواد — الجزء الأول » ، دراسة صدرت عن دار مجلة الثقافة في دمشق درس فيها الناقد الأستاذ علي المصري شعر الشاعر السعودي الراحل محمد حسن عواد .

* أصدر الأستاذ زهدي جار الله كتاباً عن « أصول علم النفس في الأدب العربي القديم » بمقدمة للأستاذ وديع ديب وطبع الكتاب في بيروت .

* **« سلامة موسى ١٨٨٧ — ١٩٥٨ : حياته وزبدة أفكاره وآثاره » كتاب صدر عن دار الكاتب المصري بمناسبة انقضاء اثنين وعشرين عاماً على وفاته . ويتضمن الكتاب سيرة سلامة موسى ومختارات من أقواله وما قيل من معاصريه والكتب التي أصدرها والصحف التي عمل فيها .**

* كما ترجم الاستاذ تقي محمد المصعبي كتاب « خطط الكوفة وشرح خريطتها » من تأليف المستشرق الفرنسي الراحل لوى ما سينيون وطبع الكتاب في النجف .

* الشاعر السعودي الكبير حسن عبدالله القرشي صدرت طبعة ثانية من ديوانه المجموع عن دار العودة في بيروت .

* ومن الدواوين التي صدرت أخيراً : « على مشارف الزمن » للشاعر محمد عارف . و « من يوميات مئذنة مكية » للاستاذ عبد العزيز الرفاعي ونشر المكتبة الصغيرة بالرياض ، و « ديوان علي الشرقي » وقد جمعه وحققه الاستاذان ابراهيم الوائلي وموسى الكرباشي ونشرته دار الرشيد ببغداد ، والجزء الأول من طبعة جديدة من ديوان الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري والديوان يصدر عن وزارة الثقافة السورية ، و « رحيق الذكريات » للشاعرة الراحلة روحية القليني ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « أغنيات أوراسية » للاستاذ محمد الأخضر عبد القادر السائحي ونشر الشركة الوطنية بالجزائر ، و« ياليل » للأستاذ مدحت عكاش ونشر مجلة الثقافة بدمشق و « ترنيمات الافتتاح » وهو مجموعة زجلية للأستاذ عبد الحميد زقزوق وطبع القاهرة .

* الأديب العراقي الأستاذ عبد الغني الملاح أصدر طبعة ثانية مزيدة منقحة من كتابه « المتنبي يسترد أباه » وفيه حاول اثبات نسب المتنبي استناداً الى شعر الشاعر وتخريجات علم النفس الحديث . وصدر الكتاب في طبعته الجديدة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت .

* صدر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز شرف كتاب « كيف تكتب بحثاً جامعياً » ، وفيه عرض للخطوات التي يتخذها الباحث في اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث الأكاديمية المشابهة . وقد صدر الكتاب عن مكتبات الأزهر .

* أحدث ما صدر من مؤلفات الدكتور فؤاد صروف هو كتاب « الفردوس الأرضي » وفيه عرض وتعريف وتحليل لفكرة المدن الفاضلة منذ ان قدم افلاطون نموذجه الشهير منها وقد طبع الكتاب في بيروت .

# كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

* ضمن مطبوعات نادي الطائف الأدبي صدر مؤخراً ديوان « احيحه بن الجلاح الأوسي الشاعر الجاهلي » وهو دراسة قام بجمعها وتحقيقها الدكتور حسن محمد با جوده تناول فيها حياة الشاعر وخصائصه . وتتبدى من خلال شعر هذا الشاعر ظواهر متعددة تدور حول البخل والشح والنظرة المادية البحتة ، والروح العسكرية ، والاندفاع والطيش ، والتجربة والحنكة والرثاء والبيئة الزراعية والمجتمع اليثربي . ويقع هذا الديوان في حوالي ٩٠ صفحة من الحجم المتوسط .



* صدرت مؤخراً مجموعات شعرية مشتركة في ثلاثة دواوين تحمل عناوين : « حوار الابعاد » « الطائران والحلم الأبيض » و « حينما نلتقي » لكـل مـن الشعراء مصطفى النجار من سوريا ، حسن علي محمد من مصر ، وسمير دوم من سوريا ومحمد سعد بيومي من مصر




وعلي الرباوي من المغرب ، وابراهيم العجلوني من الأردن . ويحاول كل منهم عرض تصوره للكون والحياة . كما يهدفون من وراء فكرة اصدار هذه المجموعات الشعرية المشتركة الى تجسيد مبدأ التعاون والوحدة عبر الكلمة الشاعرة .




كما صدر ديوان بعنوان « من سرق القمر ؟ » للشاعر مصطفى النجار يضم ثلاث عشرة قصيدة يصفها بأنها الخطوة في درب لم يبدأ بعد ويقدمها الى اصدقاء الكلمة أينما كانوا . وجميع هذه الدواوين من الحجم الصغير ولا يتجاوز عدد صفحاتها الخمسين صفحة .



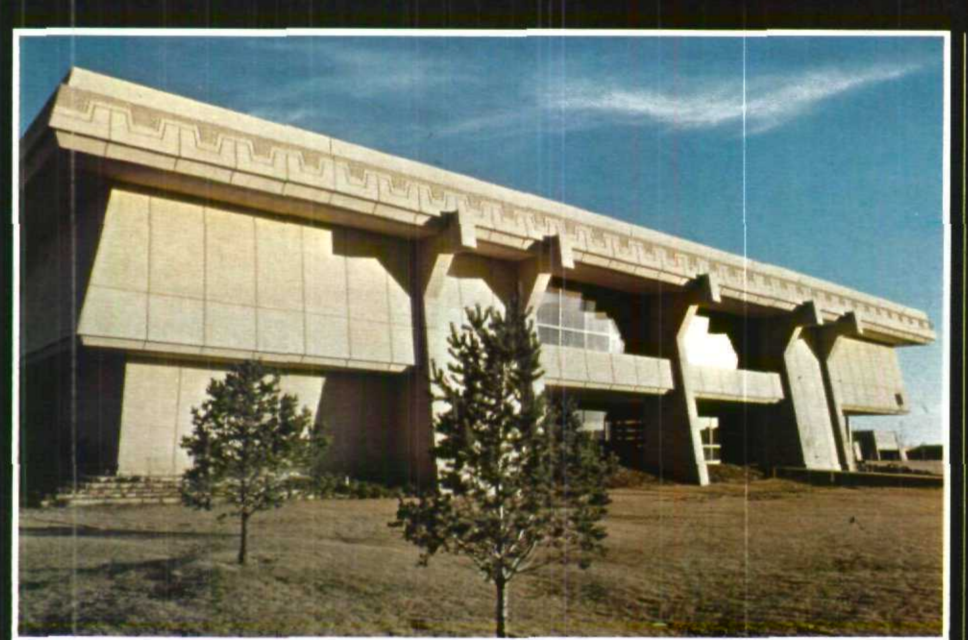

* « رحلات وذكريات » للاستاذ عبدالله حمد الحقيل وهو اضافة جديدة الى ادب الرحلات في عصر غدت فيه السياحة والاسفار سمة العصر . وقد تناول المؤلف في كتابه هذا وصف رحلاته التي بدأها برحلة الى دول الخليج مروراً بربوع بلدان الشام والمغرب وانتهاء بأوروبا وامريكا والشرق الأقصى . كما تضمن الكتاب ايضاً وصفاً لمشاهدات المؤلف ابان رحلاته تناوله بأسلوب أدبي سلس وممتع . والكتاب يقع في نحو ٢٠٥ صفحات من القطع المتوسط ، وقد صدر بتقديم بقلم الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس .

* « أسلوب تقييم فعالية التدريب المهني بالمملكة » عنوان لأطروحة تقدم بهـا الأستاذ عيسى علي الملا ، الى جامعة ويومنج بالولايات المتحدة الامريكية ، ونال بها درجة الدكتوراه في التعليم . ويوضح الأستاذ عيسى في أطروحته انه في الوقت الذي تقوم فيه الحكومة العربية السعودية بتنفيذ الخطط التنموية الطموحة ، تبرز مشكلة قلة الأيدي العاملة ، وخاصة المدربة منها ، كظاهرة خطيرة ، ينبغي تجاوزها ، وحلها عن طريق برامج التدريب المهني وورش التدريب الصناعي وهذا ما قامت به الأجهزة المختصة في الحكومة خلال السنوات العشرين الماضية .

وتبرز قيمة هذه الدراسة الأكاديمية ، في أن الأستاذ الملا استطاع ايجاد وتطوير « معيار منهجي » يعتمد الأساليب العلمية في البحث والتقييم لقياس مدى فعالية وتأثير البرامج المهنية ، بعيداً عن أسلوب « التجربة والخطأ » الذي يهيمن على تقييم هذه البرامج حتى الآن . ووصولا لهذا الهدف ، كان لا بد من تبيان المعلومات والاحصاءات المتعلقة بالتدريب المهني بالمملكة ، وكذلك اختيار وتطوير أحد النماذج القيـاسية التي تتناسب مع البيئة المحلية ، وتتسم بالبساطة والتنظيم . ويوضح الأستاذ الملا أهمية هذا البحث بقوله « تبرز أهمية التقييم المهني في ايجاد معيـار منهجي وعقلاني متكامل ، يساعد في تقييم فعالية التعليم المهني ونوعيته عن طريق جمع المعلومات وترتيبها حتى يتسنى لواضعي القرارات الاستفادة منها في دفع عجلة التنمية » □

# الزّيتُ ونشُوء المُدن

لقد كان اكتشاف البترول في مناطق عديدة من العالم عاملاً أساسياً في ازدهار تلك المناطق ، وخاصة نشوء وتطور مدن عديدة فيها . وأقرب مثال على ذلك نشوء تجمعات سكنية عديدة في منطقة الخليج العربي ونمو مدن كثيرة فيها عقب تدفق الزّيت من أرضها ، ففي المنطقة الشرقية من المملكة العربيّة السعوديّة حيث اكتشف فيها البترول في أواخر الثلاثينات من هذا القرن نمت وتطورت مدن كثيرة فيها كالدمّام والخبر والظهران والجبيل وغيرها . واليوم ندعوك معنا للقيام برحلة عبر البحار لنحط في قلب بلاد الزّيت : تكساس ، احدى المناطق الغنيّة بالبترول في الولايات المتحدة الأمريكيّة ، لنشهد التغير الجذري الذي طرأ على حياة مدينتين فيها هما : ميدلاند وأوديسا .



كلية ميدلاند أحد المعالم البارزة فيها

أحدى آبار الزيت المنتجة في منطقة ميدلاند في ولاية تكساس .

ما أن تفتح لك أبواب الطائرة لتهبط على أرض المطار الذي يخدم مدينتي « ميدلاند — Midland » و «أوديسا — Odessa » ، حتى تستقبلك أنسام غرب « تكساس — Texas » المنعشة التي تبعث في نفسك البهجة والحبور . فكل ما حولك مشحون بالحيوية والنشاط النابعين من الدور الفعال الذي تلعبه اليوم المدينتين التوأم . ليس في حياة منطقة تكساس فحسب ، بل في حياة البلاد بأكملها ، بوصفهما واقعتين في قلب أشد المناطق المنتجة للطاقة ديناميكية في الولايات المتحدة الأمريكية ، ألا وهي منطقة « حوض برميان — Permian Basin » . وهذا الحوض يغطي معظم الجزء الغربي من ولاية تكساس وجزءاً من ولاية نيومكسيكو . ويقدر احتياطي الزيت الخام في هذه البقعة بنحو ٢٣ في المئة من مجموع الاحتياطي من الزيت



تمثال الأرنب الأمريكي ذى الأذنين الطويلتين جداً هو شعار مدينة أوديسا .

في الولايات المتحدة الأمريكية باستثناء ألاسكا . والمعروف أن التنافس بين المدينتين كان قائماً منذ القدم ، حتى عندما كانتا مغمورتين لا يعرف الناس عنهما شيئاً يذكر ، خاصة وأنهما واقعتان في أرض مجدبة مقفرة . بيد أن ذلك التنافس الودي أخذ يشتد بينهما حينما اكتشف الزيت في المنطقة في أواخر العشرينات من هذا القرن ، عندها راح يأخذ أشكالاً متنوعة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وغيرها . وهذا التنافس القديم يعود الى أواخر القرن التاسع عشر ، وبالتحديد عام ١٨٨٠

١



٢

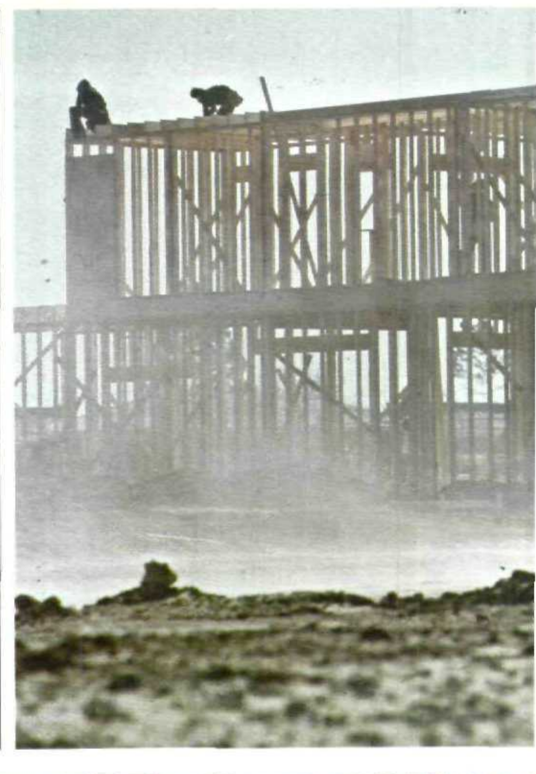


حينما أقام عمال سكة حديد تكساس — الباسفيك مخيمين لهم يبعد الواحد منهما عن الآخر ٣٠ كيلومتراً ، ويقعان في منتصف خط سكة الحديد الممتدة بين مدينتي « فورت ورث — Fort Worth » و « الباسو — El Paso » وطولها نحو ألف كيلومتر . وقد قدر لكل من هذين المخيمين أن يكون نواة لمدينة مزدهرة ، تضج الآن بالحياة العصرية بكل أبعادها .

كانت المنطقة فيما مضى قاحلة جرداء ، يسودها الجفاف في معظم فصول السنة . فلا خضرة ولا ماء ، باستثناء شجيرات صغيرة وأعشاب يسيرة تنمو متناثرة هنا وهناك في تلك المنطقة الشاسعة . وشاء الله أن يختزن جوف الأرض فيها ثروة ضخمة من الزيت الخام والغاز الطبيعي ، اضافة الى كميات وفيرة من المياه الجوفية ، التي أحالت تلك السهوب القفر الى حقول خضر ، يزرع فيها القطن ، والبرسيم ، والخضروات . كما ساعدت تلك المياه الجوفية على اقامة مئات من مزارع الأبقار والماشية . كيف حدث ذلك التغير المفاجيء في هذه المنطقة المنعزلة ؟ يجيبنا عن هذا السؤال الجيولوجيون . فمنذ نحو ٢٥٠ مليون سنة كان يغطي حوض برميان بحر عظيم . شأن كثير من المناطق الساحلية في العالم . ومع التغيرات العديدة التي طرأت على القشرة الأرضية عبر العصور المتعاقبة ، انحسر الماء وانطمرت الحياة الحيوانية والنباتية في قعر البحر . وبفعل الحرارة والضغط الشديدين تحولت المواد العضوية الى مواد هيدروكربونية قوامها الزيت الخام والغاز الطبيعي . ومع تدفق الزيت من هذه المنطقة عام ١٩٢٦ دبت فيها الحياة ، وأصبحت من مناطق الجذب السكاني ، حيث توافد اليها أعداد كبيرة من المناطق المجاورة مع ازدياد النمو الصناعي فيها ، وأخذت كل من « ميدلاند » و « أوديسا » تنمو بسرعة فائقة بحيث أصبحتا من المراكز الصناعية المرموقة في البلاد . ومع صناعة الزيت قامت فيهما صناعات عديدة . وأهمها صناعة معدات الحفر وانتاج الزيت والغاز . وعاشت المدينتان التوأم طفرة من النمو والتقدم والازدهار حتى الستينات من هذا القرن ، عندما بدأت الطاقة الانتاجية للزيت والغاز تتضاءل تدريجياً . ومع استفحال أزمة الطاقة في السبعينات وازدياد الطلب المحلي على الزيت الخام ، وارتفاع أسعار مواد الوقود ، واستحداث أساليب تكنولوجية متطورة لاستخلاص المواد الهيدروكربونية من حقول الزيت ، كل ذلك ساعد على توجه الأنظار ثانية الى منطقة حوض برميان . وتنشط الحركة في المدينتين مع ابتكار أساليب حديثة لاستخلاص كميات أكبر من الزيت والغاز ، ويتنامى تعداد سكان كل منهما . حتى بلغ مؤخراً في « أوديسا » ما يربو على مئة ألف نسمة . وفي ميدلاند نحو ٧٥ ألف نسمة . وتبدو آثار هذا النمو في « أوديسا » على أحيائها الجميلة وشوارعها الفسيحة ومصانعها . ومدارسها ، ومعاهدها ، ومستشفياتها ، ومتنزهاتها ، ومتاجرها ، وعمائرها الشاهقة ، وفنادقها العصرية ، ومزارعها النموذجية . فمدينة « أوديسا » تعتبر اليوم من المراكز الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية لعمليات انتاج الزيت والصناعات المتعلقة بالبترول . فهي تزود كثيراً من بلدان العالم بما تحتاج اليه حقول النفط من معدات



٤



٦





١ – منظر جوي لمدينة « ميدلاند » التي ينعكس عليها التطور الكبير الذي أحدثه اكتشاف الزيت فيها .

٢ – عمارات شاهقة حديثة في مدينة الدمام تؤلف جزءاً من مشاريع الاسكان في المملكة .

٣ – الحركة العمرانية على قدم وساق في مدينة ميدلاند .

٤ – جانب من مدينة الظهران حيث تبدو مباني مقر الادارة الحديثة لشركة أرامكو .

٥ – الاستاد الرياضي في مدينة الدمام .

٦ – بئر لحقن الماء في احد حقول الزيت في ميدلاند .

وأدوات ، وخاصة أجهزة الحفر . ومن بين الشركات التي أسهمت في تقدم هذه المنطقة شركة « تكساكو » وهي أول شركة اكتشفت الزيت في حوض برميان عام ١٩٢٦ في « ماكّامي » الواقعة على بعد نحو ٨٥ كيلومتراً جنوب مدينة « أوديسا » . فمنذ ذلك الوقت باشرت الشركة أعمال التنقيب في المنطقة حتّى اكتشفت بضعة حقول في الجزء الغربي من ولاية تكساس . هذا واتخذت الشركة مقراً لها فيما بعد في مدينة « ميدلاند » ، التي تعتبر المركز الاداري لصناعة الزيت في حوض برميان . ففي ميدلاند ترتفع مباني المكاتب العصرية في « وول ستريت » . كما تضم المدينة احدى محطات ضخ الزيت الكثيرة على خط أنابيب الزيت الخام الممتد بين تكساس ونيومكسيكو ، والذي ينقل الزيت الخام من حقول الزيت في يوطا ، ونيومكسيكو ، وغرب تكساس الى معامل التكرير القائمة على مقربة من مدينة « هيوستون — Houston » ، التي تضم المكاتب الرئيسية لشركة « أرامكو » في الولايات المتحدة الأمريكية .



وبالمثل ، فان الثروة البترولية الضخمة التي أفاء الله بها على المملكة العربية السعودية لعبت دوراً كبيراً في تطور ونشوء مدن جديدة في المنطقة الشرقية ، التي اكتشف فيها الزيت في أواخر الثلاثينات من هذا القرن . فلم تأل حكومة المملكة العربية السعودية جهداً في تسخير هذه الثروة الطبيعية لبناء دولة عصرية . وقد خطت المملكة خطوات واسعة في هذا السبيل . ويستطيع المرء أن يلمس آثار هذا التغير الكبير عبر المنجزات الكبيرة في حقول التعليم ،













والاسكان ، والصحة ، والزراعة ، والمواصلات ، والصناعة ، والكهرباء . ان جولة سريعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية توقفنا على ذلك التحول الجذري الذي طرأ على أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المنطقة فيما مضى ، وما آلت اليه بعد اكتشاف الزيت . فالدمام ، حاضرة المنطقة الشرقية ، لم تكن فيما مضى سوى قرية صغيرة متواضعة بيوتها من الطين وجذوع النخل ، يعيش أهلها على صيد الأسماك والتجارة المحدودة . أما اليوم فهي مدينة كبيرة تزداد كل يوم اتساعاً ، ففيها الأسواق النشطة ، والمدارس ، والمعاهد ، والفنادق الحديثة ، والعمارات السكنية الجميلة ، والمكاتب الأنيقة ، والمؤسسات التجارية والصناعية على اختلاف أنماطها . ولعل أبرز معالم النمو والتطور فيها هو ميناء الملك عبد العزيز ، وجامعة الملك فيصل ، ومشروع الاسكان الذي نفذته وزارة الاشغال العامة والاسكان ومشروع مدينة العمال وغيرها . أما الظهران ، مقر أعمال شركة « أرامكو » ، فقد تحولت

١ – احد مباني المكاتب الشامخة في طريق الانجاز ويقع على مقربة من محكمة ميدلاند .

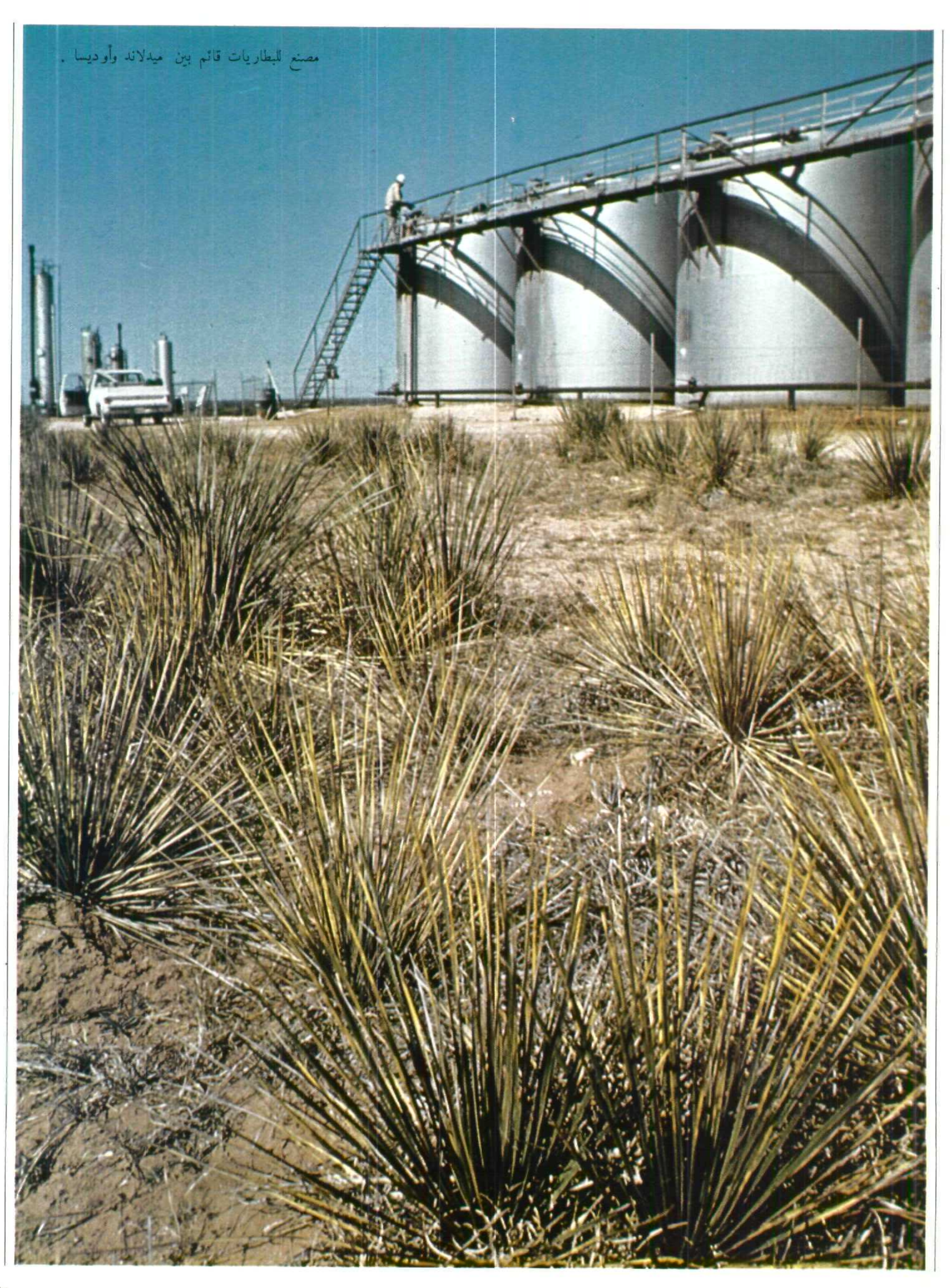
٢ – أخذت المزارع الحديثة تنتشر في واحات المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بفضل التقدم الاقتصادي المبني على الثروة البترولية .

٣ – صناعة الزيت تركت بصماتها واضحة على الأساليب المعمارية في المملكة العربية السعودية .

٤ – بعض الآبار المنتجة في حقل « مابي » في تكساس .

٥ – في هذه الساحة يتم تصنيع أجهزة الحفر التي تصدر الى مناطق كثيرة في العالم .




مصنع للبطاريات قائم بين ميدلاند وأوديسا .

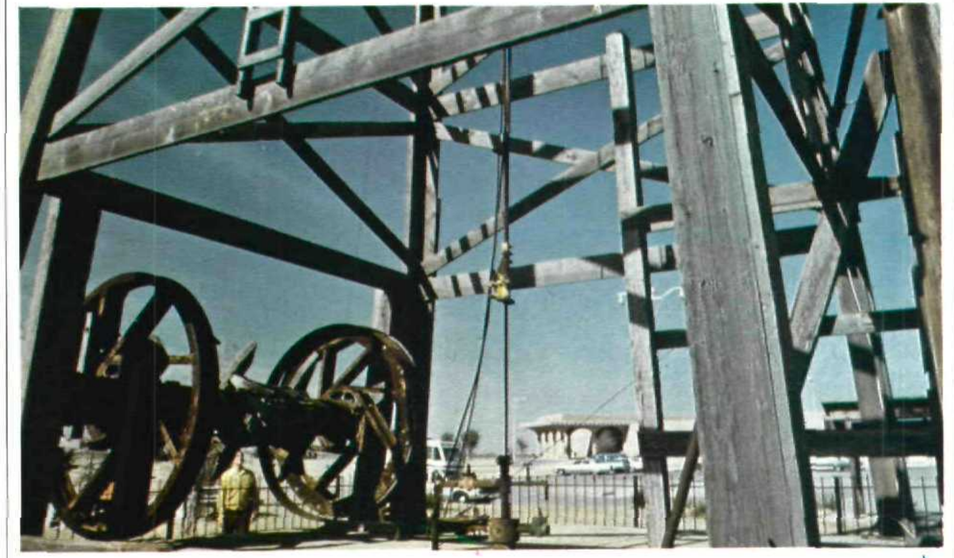
خلال الأربعين سنة الماضية من مخيم لنفر من الجيولوجيين الذين راحوا ينقبون عن الزيت في هذه المنطقة ، الى مدينة نموذجية صغيرة ، تزهو بأحيائها السكنية الجميلة ، ومباني المكاتب العديدة ، والحدائق ، والملاعب ، والعيادات ، والمرافق العامة ، التي تحتاج اليها القوة العاملة فيها والتي تنمو باطراد . ففي الظهران اليوم يستطيع المشاهد أن يرى ذلك الصرح العلمي الرائد الممثل في « جامعة البترول والمعادن » ، كما يستطيع أن يشاهد مطار الظهران الدولي . واذا انتقلنا الى الخبر ، فاننا نقف حيال مدينة متنامية تكاد لا تربطها صلة بتلك المجموعة من العشش والأكواخ التي كانت قائمة على شاطىء الخليج العربي ، والتي كانت تؤوي نفراً من صيادي الأسماك . لقد تبدلت الصورة أثر نشاط الحركة العمرانية في الخبر . ففيها تشاهد اليوم المتاجر الكبيرة . والأسواق المركزية . والفنادق الفخمة . والمصارف العديدة . والمباني الشاهقة . والشوارع الفسيحة .

ومن مدن المنطقة الشرقية التي أخذ اسمها يتردد عالياً في الآونة الأخيرة مدينة « الجبيل » التي تقرر أن تكون مركزاً رئيسياً للصناعة البتروكيميائية في المنطقة نظراً لموقعها الاستراتيجي الممتاز . فقبل سنتين لم تكن الجبيل سوى قرية صغيرة كان يعيش أهلها على صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ شأنها شأن مدينتي الخبر والدمام ، هذا بالاضافة الى الاشتغال بالزراعة على نطاق محدود . وما أن قررت الحكومة السعودية قيام صناعة بتروكيميائية متكاملة في الجبيل حتى دبت الحركة النشطة فيها بشكل ملحوظ . ففيها أنشئ ميناء تجاري وآخر صناعي وقاعدة بحرية بالاضافة الى ميناء لصيد الأسماك . كما تقوم حالياً شركات عالمية بتنفيذ مشاريع صناعة البتروكيميائيات وتجميع الغاز ، وبناء المجمعات السكنية ، وانشاء محطات تحلية المياه المالحة ، ومحطات توليد القوة الكهربائية ، الأمر الذي جعل اسم الجبيل يتردد على كل لسان في الوقت الحاضر .

ومجمل القول ان اكتشاف البترول في مناطق مختلفة في العالم يعتبر عاملاً أساسياً في تطور تلك المناطق وازدهارها ونمو المدن فيها □

سليمان نصر الله/ هيئة التحرير

تصوير : شيخ امين — أرامكو
ماك اليستر — تكساكو



١




٢



٣

١ — معدات انتاج الزيت جزء من محتويات متحف البترول في ميدلاند .
٢ — أحد الفنادق الحديثة في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية من المملكة .
٣ — جانب من ميناء الملك عبد العزيز البحري في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية .

# الخدمات العامة في المناطق الريفية والأسلوب الأمثل لأدائها

بقلم : د. سلامة أحمد الشواف

من الواضح أن الخدمات العامة التي تقدمها حكومات الدول النامية للمناطق الريفية كماً ونوعاً ، تقل كثيراً عن تلك التي تقدمها للمدن ، وربما يستمر الوضع على هذه الحال لأزمان طويلة ، نظراً لضآلة النفقات العامة أو لقلة الاهتمام بمشاكله كآخر بند في قائمة الأولويات . ويزداد الأمر تعقيداً عندما نرى رجال الخدمات العامة الذين يعملون في الريف وقد أصابهم الجمود والشلل كرد فعل لكل أو لبعض هذه الظروف . أضف الى ذلك غياب الاطار المنهجي الذي يمكن أن يسترشد به المصلحون ، وصعوبة تشخيص المشاكل واختلاف الظروف مما ينجم عنه سوء توصيل الخدمات العامة للمناطق الريفية خاصة وان المدن والمناطق الحضرية في بلادنا العربية تعاني هي الأخرى من نفس القصور . وعلى الرغم من كل ذلك فانه بالامكان أن نمسك بأطراف المشكلة بأسلوب أكثر واقعية خاصة اذا نحن اعتبرنا تلبية حاجة المواطن ، كمستفيد أو مستهلك لتلك الخدمات ، وهي الهدف من وراء قيام الخدمات العامة في تلك المناطق . واستناداً الى ذلك يمكننا طرح النقاط الآتية ومعالجتها :

* طبيعة الخدمات العامة التي تقدم للمجتمعات المحلية الريفية .
* طريقة تأدية الخدمات العامة للريف .
* الأوضاع التي يتم في ظلها اتخاذ القرارات التنفيذية الخاصة بخدمات الريف .
* نقص المعلومات بشأن أوضاع المناطق الريفية والحاجة الى فهم الضغوط الاجتماعية والاقتصادية ، والبيئية العمرانية التي يعيش فيها سكان الريف .

عندما نستعرض النقطة الأولى نجد أن الخدمات العامة في الريف ، ان هي وجدت ، انما يطغى عليها الطابع الرسمي من كافة جوانبها . أي ان مصدر هذه الخدمات يكون مصدراً عاماً ، كما أنها تؤدى في صورة جماعية ، ولا يمكن أن يكون لها طبيعة السلع التي تباع في الأسواق أو أن تخضع لظروف الأسعار والعرض والطلب . وهذا بلا شك يختلف عن طبيعة الخدمات الخاصة الأهلية التي تمتاز بطابعها الفردي من حيث دوافعها وطريقة تأديتها ، ويصبح في الامكان تسويقها واخضاعها لفعل العرض والطلب .

ولو تصورنا قيام الخدمات في الريف بطريقة مختلفة في شكلها العام عن شكلها الخاص . فان تشخيص جوانب القصور باستخدام معيار العرض والطلب وحده لن يكون سهلا . ولو حاولنا سحب فكرة السوق أو العرض والطلب ثم طبقناها كمعيار لقياس معطيات الأنشطة الحكومية للخدمة في الريف ، ومدى تعبيرها عن الحاجات والطلب الفعلي لسكانه ، لوجدنا أن الوحدات الرسمية العاملة في الريف تكاد تكون مصدر العطاء أو جهة العرض الوحيدة ، على الرغم من قصور امكاناتها مالياً وبشرياً عن تغطية تلك الاحتياجات ورغم عجز الميزانية عن الوفاء بالتزاماتها .

وهذه الخدمات — كما هو معلوم — اما أن تكون ذات طبيعة ترتبط بالعمل أو برأس المال أو بهما معاً . فخدمات النقل العام ومشاريع الطرق والمياه والإنارة والصرف تعد من « الاستثمارات

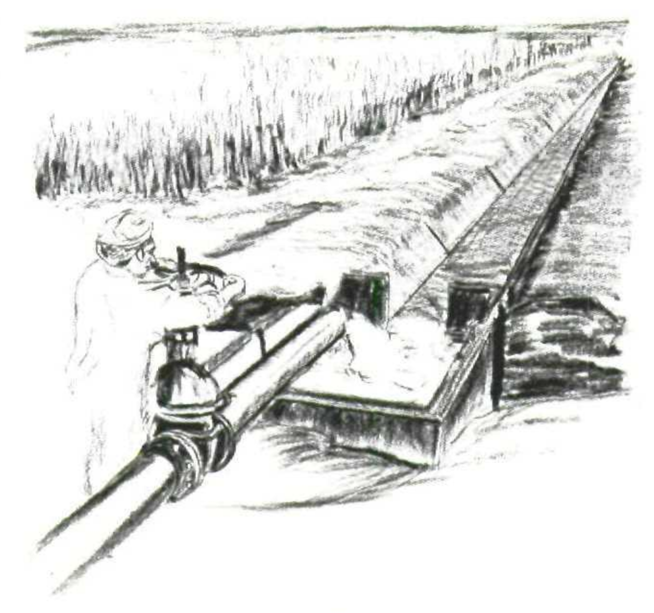
الرأسماليـــة الدعاميـــة — Capital intensive » ، في حين يمكن تصنيف خدمات التعليم والصحة والأمن والضمان والرعاية الاجتماعية وما شاكلها ضمن تدعيم قوة العمل — Labor Intensive » .

وتتصف الخدمات العامة الريفية بأنها ضرورية للمنفعة العامة ، وهي تقدم عادة مجاناً أو بأسعار رمزية لضمان الاستفادة منها ، دون انتظار لعائد مادي مجز مهما كانت كميتها .

أما من حيث طريقة تقديم هذه الخدمات ، فان النظام الأمثل هو تقديمها في الزمان والمكان المناسبين وبالتكاليف التي يتقبلها المستهلك ، أي أن تكون مقبولة وفي متناول المستفيدين منها مع تنوعها من مكان لآخر بتنوع حاجات السكان اليها . ويساعد في توفير هذه الخدمة أمران : التكلفة والشكل . ومن ثم ينبغي الاهتمام بتبسيط الاجراءات والتنظيمات وجعلها ملائمة للمواقع والأماكن المختلفـــة بدلا من قصر الاهتمام على حجم الخدمات أو كمية التكاليف التي تتطلبها هذه الخدمات . ومن الخطأ القول بأن نوعية التنظيم لا تؤثر على فعالية أو طريقة أداء تلك الخدمات ، كذلك فان أسلوب تجميع أو تركيز الخدمات العامة لتغطية مناطق أكبر ، على فرض أن ذلك قد يؤدي الى توفير النفقات أو ما يسمى بـ « الفعالية الاقتصادية — Economics of scale »



ليس من الطرق المجدية ما لم يكن هناك فائدة أو حاجة الى مثل هذا الاتجاه ، خصوصاً وأن هناك اعتبارات أخرى ، غير اعتبارات الحجم والكمية ، لها أهميتها في تحديد وحدة التكلفة . وقد ثبت مثلا أن زيادة كمية المياه المخصصة لكل مستهلك تقلل من تكلفة وحدة استهلاك الخدمة أكثر مما لو وزعت هذه الخدمة على عدد أكبر من المستفيدين . وهذا الشيء نفسه ينطبق أيضاً على خدمات الانارة والمجاري وجمع القمامة وغيرها . وقد أثبتت الأبحاث أيضاً أن الاستفادة من الخدمات الريفية يمكن تحقيقها اذا كان عدد سكان



المجتمع في حدود خمسة آلاف نسمة ولا يزيد نصيب الفرد من تكاليف الخدمة بشكل ملموس كلما زاد الحجم على ذلك . وقد تمت تجربة ذلك على خدمات المطافىء والتعليم ، غير أنه من الأفضل عدم تعميم مثل هذه النتيجة المتعلقة بتجميع الخدمات الصغيرة من أجل تدعيمها ، أو اعتبارها حلا نهائياً لمشاكل الريف القصيرة المدى . وعندما تتوفر العوامل المؤدية الى تزايد عدد السكان في المستقبل فان فكرة التجميع هذه تصبح مفيدة ولو أدى ذلك الى زيادة تكاليف الخدمة في المناطق المجاورة الأقل كثافة سكانياً .

هذا عن التكلفة ، أما عن الشكل التنظيمي الذي يجب أن تكون عليه الوحدات العاملة في الريف ، وهي في معظمها وحدات رسمية كما أوضحنا سالفاً ، فمن الملاحظ أن هذا الشكل يؤثر على فعالية الأداء ، وكلما كان التنظيم كبيراً في حجمه أو شكله كانت فرص استخدام الأساليب الفنية المتقدمة وتلافي تكرار الخدمة ، ممكنة ومتوقعة ، ولكننا لا نقر زيادة طاقة الهيئة الوظيفية على الحاجة الفعلية ، ويمكن لهذا الجهاز الوظيفي أن يزيد ويتنوع بتنوع الحاجة والظروف المحلية ، كما يمكن اتباع نظام الوظائف المتجولة التي يمكنها تأدية عدة خدمات اذا اتضح أن طاقة العمل لا تتطلب توفير مثل هذه الوظائف بصورة مستمرة في مكان واحد . أي ان الاجابة عن السؤال المتعلق بنوعية التنظيم الذي يمكن من خلاله تأدية الخدمة بشكل فعال ومرض للمراجعين والمستفيدين منها ، تتمثل في ضرورة احباط عوامل التثبيط عن ذلك التنظيم .

صحيح أن تلك الوحدة قد تؤدي الخدمة في حدود الميزانية المخصصة لها ولكن التقليل من عوامل الاحباط



واحكام الصرف على البنود من رواتب ، وتشغيل ، وصيانة ، ومخصصات المساعدات ، وتحسين العلاقات مع الجمهور . . الخ ، كل ذلك يزيد من فعالية الأداء . واذا أدت هذه الوحدات عملها على القدر الذي تسمح به الميزانية المخصصة فقط فان فعاليتها تكون محدودة ، اذ لا بد من ايجاد الوسائل التنظيمية التي تقلل من تكاليف الخدمات دون تقليل الميزانية مع زيادة عرض الخدمات على الطلب حتى في مثل هذه الظروف . ان التنظيم الأمثل هو ذلك الذي لا يعمل فقط على تطبيق برنامج الخدمة ، كما هو متبع ، بل يتحرى أيضاً تذليل الصعاب التي تعترض التطبيق ويتوخى أيسر السبل لتوصيلها الى المواطنين ، مع مراعاة أن لا تكون هذه الكفاءة في الأداء على حساب المواطنين عن تلك الخدمات .

هذا ولا يجب الاقتصار على الوحدات الرسمية كشكل تنظيمي لتأدية الخدمات ، اذ من الممكن قيام أشكال تنظيمية بديلة مثل الهيئات الخاصة ، أو التعاقدات الحكومية مع الشركات الاستشارية أو عن طريق فرض رسوم اشتراكات أو رسوم رمزية للخدمات ، أو ايجاد نوع من التنافس بين هذه التنظيمات . ومعنى ذلك أن يكون التنظيم مرناً ومستجيباً لطلبات المواطنين وظروف البيئة . ومثل هذه الطريقة التنظيمية مطلوبة في مجال استثمار الخدمات التي تشمل التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية . . الخ . أكثر منها في مجال الاستثمارات الرأسمالية التي تشمل الطرق ، وشبكات المياه ، والصرف ، والانارة .

وعندما نتناول النقطة الثالثة المتعلقة بطبيعة القرارات التي تتخذ بشأن الخدمات الريفية ، نلاحظ أن تلك الخدمات كثيراً ما تتطلع الى الجهات الادارية المختصة لمدها بالعون المادي والفني ، وغالباً ما تشترط تلك الجهات ضرورة التمشي بموجب اللوائح الموحدة والتعليمات المرعية التي وضعت بعيداً عن ظروف المجتمعات المحلية ، وقد يكون غرضها الاقتصاد في النفقات أكثر من أي شيء آخر . ولنا أن نتصور أن اتخاذ القرارات على النطاق المحلي ، مرهون بمدى نطاق حرية التصرف لدى المسئولين عن تلك الخدمات في الريف ، وبما قد يعانيه المجتمع الريفي من نقص في ثرواته وامكاناته . وهنا يضطر المسئول اما الى ايقاف الخدمة أو اتباع التعليمات الصادرة له من الجهات المختصة . ولا شك ان اتخاذ القرار على المستوى المحلي يأخذ مرونته ويكون أكثر حرية في ظل نظام اللامركزية الادارية أو نظام الحكم المحلي .

وتستند القرارات الى توفير المعلومات التي تخدم الأغراض التخطيطية والادارية ، ويمكن التوصل لأهم تلك المعلومات الناقصة اذا نحن قمنا بتحليل العرض والطلب بالنسبة للخدمات العامة ، وتقدير العوامل التي يمكن ان تؤثر على هذا العرض والطلب ، ثم اعداد البرامج التخطيطية التي يمكن على ضوئها اقتراح الأشكال التنظيمية البديلة لتأدية تلك الخدمات .

ان تقديم الخدمات للمناطق الريفية هو في الواقع نوع من أنواع النفع العام ، وهذا يتطلب التغلب على المشاكل الاساسية للمجتمعات المحلية وحسن توزيع ثرواتها بالصورة المرغوبة حتى تصل الى المستويات اللائقة بها في الانتاج وفي النوعية . ومع انه يمكن حساب تكلفة الوحدة في الخدمة مع الاقتصاد في طاقة العمل والوصول الى انتاج معقول بأقل تكلفة بالنسبة للمؤسسات الخاصة ، ولكن ذلك يعتبر أمراً صعباً بالنسبة لمؤسسات الخدمات العامة في الريف . ولا شك أن معرفة عناصر الانتاج الحالية والمتوقعة ، والتنظيم الأمثل ، يعد من العوامل التي تعين على اتخاذ القرارات الصائبة . كذلك فان توفير معلومات عن مستويات المعيشة وحجم الاستثمارات والنشاط الاقتصادي والتوظف وتعداد السكان وتوزيعهم يساعد المخططين على وضع الأسس والبدائل الكفيلة بمقابلة الاحتياجات والنهوض بالخدمات .

والخلاصة تتوقف على نوعية الخدمة ونوعية المؤسسة التي تؤديها . ورغم أن الجهات المختصة في أية دولة قد تسارع الى رصد المبالغ استجابة للعديد من الطلبات بشأن هذه الخدمات الريفيــة فإنه يفوتها التأكد من الأسلوب والطريقة التي تؤدى بها تلك الخدمات للناس ، ومدى ملاءمتها لهم وقدرة الجهاز القائم بهذا العمل ، ومدى مشاركة الناس لتلك الخدمات وتقبلهم لها □

د. سلامه احمد الشواف



راجع مقال : "اسهام العلماء المسلمين في حقل الفيزياء"



مبنى سكني عصري يجسد خطوط العمارة الحديثة التي
أخذت تعم مدن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.
تصوير : شيخ أمين